ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܒ̈ܗܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܩܕܡ ܒܝܬ ܕܝ̈ܢܐ
ܘܢܗܘܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܡܚܪ̈ܡܐ ܘܫܒܩܐ ܕܚܛܗܘ ܢܫܟܚ ܠܐ
ܥܕܡܐ ܠܗ ܫܒܩܐ ܟܠ ܢܦܫܗ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܒܩܐ ܥܕܡܐ
ܠܕܘܟܬܗ ܕܢܬܐ ܕܢܗܘܐ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

اغناطيوس أنطون الثاني حايك
بطريرك السريان الانطاكي السابق

ميلاد المخلص في بيت لحم وعماده في نهر الأردن في الفنقيتين الأول والثاني

٢٠٠٢

عيد ميلاد الرب يسوع

كانت الكنيسة الأنطاكية تحتفي بعيد ميلاد الرب يسوع في السادس من كانون الثاني، وسمّى الآباء الأولون هذا العيد إبيفانيا (باليونانية) والدنح (بالسريانية) ومعناهما الظهور، لأنه كان يشتمل على ظهور يسوع طفلاً للرعاة في مغارة بيت لحم وظهوره للمجوس، وظهوره للعالم في السنّ الثلاثين من عمره على نهر الأردن، يوم عمّده يوحنا المعمدان. وأقدم إشارة الى أن جماعة من المسيحيين كانوا يحتفون بعيد الظهور في السادس أو العاشر من كانون الثاني هو ما جاء في كتاب الـ"ستروماتا" لإقليمس الاسكندري (+ قبل سنة ٢١٥). وفي القرن الرابع نظم مار أفرام السرياني نيفّاً وعشرين مدراشاً وصف فيها هذا الموسم المبهج فدعاه بكر الأعياد واعتبره عيداً مشهوراً في الكنيسة على توالي الأحقاب وأورد فيه ذكر ميلاد ابن اللّه من مريم وظهوره للرعاة والمجوس، وللناس عموماً على نهر الأردن[1] وفي عهد هذا الملفان الكبير كان يحتفى بعيد الميلاد في كانون الثاني فلذا كان عيد البشارة يقع في نيسان لا في آذار. يثبت ذلك قول مار افرام في مدراشه "إعترفي أيتها الشعوب" "كان الحبل به في نيسان وميلاده في كانون" (كانون الثاني). وتصلّي كنيستنا السريانية في القال الاول بعد سدرو القومة الثانية من صلاة ليل عيد الميلاد "بنيسان بشّر جبرائيل ورأينا ميلادك بكانون يا ابن اللّه الممجّد، الثمرة الشهيّة من مريم، الثمرة التي أكلت منها البرايا فنالت الحياة الأبدية" (فنقيت ١ ص ٤٨٤)[2] ومار إفرام عينه يؤيد

---

[1] البطريرك افرام رحماني في المباحث الجليّة في الليتيرجيات الشرقية والغربية. المطبعة البطريركية السريانية في دير الشرفة سنة ١٩٢٤ ص ١٣٦ حاشية ١، ومجلة الآثار الشرقية، السنة الأولى ١٩٢٦ العدد الثاني عشر ص ٤٣٧-٤٣٨.

[2] ويرد هذا النشيد في كنيستنا صباح يوم الثلاثاء من كل اسبوع. طالع الأشحيم (صلوات أيّام الإسبوع البسيطة) طبعتنا سنة ١٩٩٦ ص ١٧٣. أما الفناقيت فهي كتب صلاة الفرض التي تتلى على مدار السنة في

ذلك أيضاً في مدراشه، "هذا هو الشهر" إذ يقول "غلبت الشمس مشيرة بالدرجات التي صعدتها منذ اثني عشر يوماً الى سرّ الابن تماماً والى رسله الاثني عشر" (فنقيت١ ص ٤٧٧)[٣].

أما في المغرب فكان يحتفى بعيد الميلاد في ٢٥ كانون الأول، وانتقل عنه الى كنيسة أنطاكية في نحو سنة ٣٧٦ كما يشهد مار يوحنا الذهبي الفم في إحدى خطبه التي ألقاها في كنيسة أنطاكية الكبرى.

ديرالراهبات الأفراميات **أغناطيوس أنطون الثاني حايك**

بطحا ـ حريصا ٦ تشرين الأول، ٢٠٠٢ **بطريرك السريان الانطاكي السابق**

أيام الآحاد والأعياد، وتقع في ٦ مجلدات يضاف اليها واحد هو عمومي. طبعت بمطبعة الآباء الدومينيكيين بالموصل من ١٨٨٦-١٨٩٦. وبما أن اللاتين عدّوا المجلد العمومي المجلد الأول، أصبح الأول سريانياً الثاني لاتينياً. والثاني ثالثاً آلخ. نحن نتبع العدّ السرياني. إن المطران يوسف داود هو الذي أصلح الفناقيت ورتّبها.

[٣] وفي الفنقيت عينه ص ٤٧٥ نصلّي: في الشهر السادس انحدر جبرائيل وسلّم على بنت داود الممتلئة محاسن وكلّمها بشفاه من نار وقال لها: السلام عليك يا ممتلئة نعمة ربنا معك مباركة أنت في النساء ومبارك الرب الذي تأنّس من تراب جبلته يداه...

الصلاة الفرضية لعيد ميلاد ربنا بالجسد

نجد هذه الصلاة في الفنقيت المجلد الأول من ص ٤٦٥-٥١٠[٤].

فصَلاة المساء من ص ٤٦٥-٤٧١ وصلاة الليل من ص ٤٧١- ٤٩٨ وصلاة الصباح من ص ٤٩٨-٥٠٨، وصلاة الساعة الثالثة من ص ٥٠٨ - ٥١٠. ولعيد الميلاد ثلاث قومات في صلاة الليل، اما القومة الرابعة فهي مكرّسة للأموات. وفي بدء كلٍّ من القومات الثلاث مزموران:

للقومة الأولى المزموران ٢ و ٤٥

وللقومة الثانية المزموران ٤٨ و ٧٢

وللقومة الثالثة المزموران ٨٩ و ٩٥

في هذه المزامير يرى التقليد اليهوديّ المسيحيّ نبؤات أو رموزاً عن المسيح.

واعتادت الكنيسة السريانية أن تتلو في الأعياد الكبرى قراءات من العهد القديم والجديد. ففي صلاة ليل الميلاد هذه هي القراءات:

من العهد القديم:

الاولى من سفر التكوين ٢١: ١-٨ (عن أن اللّه أنعم على ابراهيم وسارة الطاعنين في السن بابن أسمياه إسحق) (ص٤٩٣-٤٩٤).

الثانية من السفر الاول لصموئيل ١: ١٩-٢٣ (عن ان اللّه أنعم على حنّة العاقرة زوجة ألقانة بابن أسمياه صموئيل (ص ٤٩٤).

الثالثة من أشعيا ٧: ١٠-١٧ (عن حبل وولادة العذراء لابن هو عمانوئيل) (ص ٤٩٤)

[٤] ان أرقام الصفحات الواردة بين هلالين هي للنصوص الواردة في الفنقيت المجلد الأوّل. وكعادتنا سعينا الى أن يكون النصّ العربيّ بسيطاً بساطة النصّ السريانيّ الطافح بالحبّ البنويّ والعميق بالمعاني الروحيّة.

الرابعة من دانيال ٢: ٣١-٣٦ (عن انقطاع حجر من جبل بغير يدين وضربه التمثال العظيم الذي رآه في الحلم الملك نبوكد نصّر وصار رجلاً عظيماً ملأ الأرض بأسرها (ص ٤٩٤-٤٩٥)

من العهد الجديد:

الاولى من الرسالة الاولى ليوحنا ٤: ١١-٢١ و ٥: ١-٣ (سبق اللّه لنا في المحبة إذ ارسل ابنه الوحيد الى العالم لنحيا به (ص ٤٩٥-٤٩٦) هنا يتلى الزمّار[٥] عن مز ١١٠:٤ إنك انت الكاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق.

الثانية الى أهل غلاطية ٤: ١-١١ (لما حضر ملء الزمان أرسل اللّه ابنه مولوداً من امرأة (ص٤٩٦).

وفي ختام صلاة المساء والصباح وفي الليل بعد قراءات العهدين يقرأ الانجيل. انجيل مساء عيد الميلاد مأخوذ من يوحنا ١: ١-١٧ يسبقه الهلّال[٦] "قال لي الرب: أنت ابني وانا اليوم ولدتك (مز ٢:٧) (ص ٤٧٠-٤٧١). وانجيل ليل العيد من لوقا (٢: ١-١٨) وهلّاله من مز ٨٦:٥ يقال لصهيون أن وُلد فيها رجل جبار وهو ثبّتها (٤٩٦-٤٩٧)[٧]. وانجيل صباح العيد من متى (٢: ١-

---

[٥] يسمّيه السريان المشارقة شورايا والموارنة مزمور التسابيح واليونان بروكسيمنون أو بروبسلمون أو انتيفونيا ويتألف الزمّار من آية أو آيات من المزامير.

[٦] الهلّال هو ترتيلة تتألّف من آية أو أكثر من المزامير سُمّيت الترتيلة هلّالاً لأنها تُكرَّر في أوّلها لفظة هللويه ٣ مرّات وتختم بلفظة هللويه. وفي الأعياد السيدية الكبرى تتبع الهلّال تسبحة خاصة.

[٧] اختلفت الترجمات لهذه الآية ففي طبعة الرهبانية اليسوعية سنة ١٩٨٩ يقرأ: أمّا صهيون فيقال فيها: كل إنسان وُلد فيها "والعليّ هو الذي ثبّتها" وفي طبعة الآباء الدومنكيين بالموصل سنة ١٨٧٥ للخوري يوسف داود الموصلي المعاد طبعها (وهي أقدم كتاب مقدّس طبع في العراق) من جمعيات الكتاب المقدس في لبنان والأردن سنة ٢٠٠٠ فيقرأ "ولصهيون يقال: "إنسان وإنسان وُلد فيها والعلي نفسه أحكمها". أما النص في الفنقيت فهو مثلما جاء في النص السرياني للكتب المقدسة العهد القديم والجديد الذي نشره سنة ١٩٧٩ اتحاد جمعيات الكتاب المقدس ص ٤٢٦ "ولصهيون يقال أن وُلد فيها رجل جبار "ܓܒܪܐ ܓܢܒܪܐ" (النون لا تُلفظ) وهو ثبّتها"

١٨) وهلاله من مز ١١٠: ٣ يعرّب في طبعة الآباء الدومنكيين "في محاسن القدس من رحم الفجر لك طلّ ولوديتك" وفي طبعة الرهبانية اليسوعية جاء تعريبه هكذا "في بهاء القداسة من الرحم من الفجر ولدتك" ويضاف كحاشية للآية أنه نصّ عبريّ مصحّح مستند على النص اليوناني. ونحن نرتإي ان يعرّب هكذا: في محاسن القدس من الرحم من الفجر ولدتك ايها الطفل (وهذا تعريب للنص بحسب الترجمة البسيطة) (٥٠٧-٥٠٨)

بعض الرموز والتشابيه عن المخلّص

تفرح جماعة الأنبياء في القبور، إن رؤاهم عن مولدك قد تحقّقت (٥٠٦) تنبّأ الأنبياء الصادقون بروح القدس عن أسرارك يا يسوع اللّه وبشّروا بميلادك، فأشعيا بَشّر بالحبل بك، وداود بميلادك، وزكريا بظهورك، وميخا بسلطانك، وحزقيال ببهاء مركبتك ودانيال بعرش ربوبيّتك. فمبارك مَن حُبل به ووُلد ليخلّص البرايا (٤٧٤).

مثّل ميلادك يعقوبُ بشبل الأسد، وسمّاه أيوب مخلّصاً لنا وسمّاه داود عشب الأرض وأعلنه أشعيا عجيباً وقال عنه ارميا إنه ضياء وأومأ اليه ميخا بأنه بهاء وعناه دانيال بصخرة جبليّة (٢٧٢-٢٧٣ من صلاة الأحد بعد الميلاد) قد بشّر الأنبياء بمجيئه وكرز الرسل بانحداره (الى الأرض). ورسم الصدّيقون بالتشابيه أسراره:

فالواحد منهم قال: أنا عارف أن مخلّصي حيّ هو وسيظهر على الأرض، والآخر بالنار التي تشتعل ولا تحترق الى البتول التي وُلدت منها النار (يسوع).

الواحد شبّه نزولك المملؤ رحمة بالطلّ على الجزّة، والآخر لمّا شعر بنزولك قال: سبّحوا للراكب على المغرب.

الواحد قال: سيشرق كوكب من يعقوب ويقوم رئيس من اسرائيل والآخر لقبّك بالكوكب.

الواحد يقول: يخرج راع من أفراتا يرعى النفوس بالعصا، والآخر رسم والدتك بالصخرة التي قُطعت بدون أيدي.

الواحد يقول: قد قام ومسح الأرض لك أيها الأبديّ، والآخر يشهد بأن اسمك قبل الشمس.

الواحد يعلن أن الأمم بك تتبارك ويُشيع أن الجزائر تترجّاك، والآخر يقول: إنك أنت الحبر الى الأبد ويخبر أن الملوك يأتونك بالهدايا.

الواحد يُنبئ أنْ قد وُلد لنا صبيّ ويبشّر بأنْ قد أعطينا ابناً، والآخر يقول: إنه رآك مثل شيخٍ جالساً على عرش عالٍ (٥٠٨-٥٠٩)

ولأن هذا الحدث ولادة المخلص، هذا الكنز الثمين الذي حلمت به الأجيال واشتاق اليه الأنبياء، والملوك وجميع الأبرار، قد تمّ في جيلنا فلذلك تعطي الطوبى لجيلنا جميع الأجيال (٤٦٧).

الأنبياء عن الميلاد الواردة أسماؤهم في صلاة عيد الميلاد

١- داود: حسناً تنبّأ داود عن أمّ مخلّصنا إذ قال: كلّ حسنك هو من الداخل ومطمور وفي العالم الآتي لكِ الجلال البهيّ الحسن والسنيّ (مز ٤٥: ١٠-١٦).

هيّئ يا داود بن يسّى كنّارتك وترنّم بتسابيح اللّه الذي أراد أن يظهر من زرعك ليمنح المائتين من جنس آدم الحياة (٤٩١).

إنه كمل ما ترنم به داود في مزاميره: إنه يحصي الشعوب في السجل (٤٧٩) إذ مضى يوسف ومريم ليكتتبا في السجل ببيت لحم وهناك ولدت العذراء يسوع ولفّته بقمط: فها هو في بيت لحم داود الملك لابس التاج وربّ داود وابن داود طامرٌ مجده بالقمط، ووهب قمطه حلّة مجد لبني البشر (٤٧٦ من مدراش مار افرام "هذا هو الشهر"). اليوم تحقق المزمور الذي ترنم به داود: ان الرب قال لي: انت ابني وانا اليوم ولدتك نوراً للأمم المعترفة بالثالوث (٥٠٦).

٢- يعقوب: مرتجى الشعوب الذي عنه تنبأ يعقوب قد ظهر هو المسيح الذي وصلت اليه بركة يعقوب لابنه يهوذا. وذاك الذي عنه تنبّأ من قديم الزمان يعقوب بأنه مرتجى الشعوب قد ظهر من سبط يهوذا، إنه هو المسيح (٥٠٠). والبركة التي أعطاها يعقوب تمّ تفسيرها لأن نور الملكوت أشرق في افراتا قرية داود (٤٧٩).

٣- أيوب: قال: أنا عالم أن وليَّ حيٌّ وفي الآخرة على الأرض يقوم، أي إن اللّه سيظهر يوماً في الجسد على الأرض متخذاً صورة إنسان لخلاص البشر (٥٠٨).

٤- أشعيا: ليأتِ في هذا اليوم ابن آموص ويسبّح مع ميخا وسائر الأنبياء لأن مَن السماء صغيرة لديه، والحابس البحر بيده، سبق وتنبأ عنه أشعيا الممجّد بأنه كالغصن ينبت من العذراء بدون زواج كي يرفع ذلّ آدم الذي هوى بإرادته. انه حبس ذاته في حشا مريم البتول لخلاصنا. المجد له قد واضع ربوبيّته لأجلنا وبتواضعه حرّرنا من اللعنة (٤٩١) ويقول أشعيا في سفره (١١:١) "ويخرج غصن من جذع يسّى وينمي فرع من أصوله ويحلّ عليه روح الرب..." فمن جذع يسّى نبت غصن، وُلد لنا المخلص المسمّى عجباً (٥٠١) نبَت ليسقي بخمره الأرض العطشى المنهوكة (٥٠٧). فمثل غصن من أصل يسّى وكزهرة منه أشرقت أيها المسيح من البتول القديسة انت القدوس الممجّد... حين أردت ووُلدت من الغير متزوجة، يا اللّه، المنزّه عن كل هيولى (٥٠٠) وأشعيا نفسه هو الذي تنبّأ بالروح القدس وبشّر بالحبل بالمخلّص: ها إن العذراء تحبل وتلد ابناً يسمّونه عمانوئيل (اش ٧: ١٤). ليفرح إذاً اليوم أشعيا بقبره لأنه قد وُلد عمانوئيل كما تنبأ (٥٠٧)

٥- ميخا: تنبّأ عن المسيح ملكاً ومخلّصاً ووصَفه راعياً يخرج من بيت لحم (٥: ٢). من هذه النبؤة عرّف عظماءُ الكهنة وكتبةُ الشعب هيرودس أن المسيح

يولد في بيت لحم لأنه أوحي للنبيّ فكتب: "وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لستِ أصغر ولايات يهوذا. فمنكِ يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل".

(متى٢: ٥-٦). وُلد يسوع النور من بنت داود في بيت لحم في هذا اليوم، كما تنبّأ ميخا انه منك يشرق الملك المخلّص والراعي الذي يرعى اسرائيل المشتّت على الجبال والذي لم يعرف اللّه. فها قد خرج الراعي كما قال، والوالي كما تنبأ وبانت واضحةً نبؤته (٥٠٩). وتصلّي كنيستنا أيضاً قائلة: طوباكِ يا أفراتا أمّ الملوك التي منك خرج سيّد التيجان. بشّرك ميخا بأنه من الأزل، ولا يُدرك له زمان، طوبى لعينيك اللتين استقبلتاه قبل الجميع، وأهّلكِ أنت لتشاهديه، قبل أيّ كان، عندما ظهر رأسُ البركات ومبدأ الأفراح. (٤٩٠)

٦- دانيال: فسّر للملك نبوكد نصر الحلم الذي رآه. رأى تمثالاً عظيماً ذا منظر هائل... واذا بحجر ينفصل لا بقوّة اليدين، ويضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف ويسحقهما.. أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها (ط. دا ٢: ٣١-٣٥). ان الحجر الذي رآه دانيال انقطع لا بقوّة أيدي، أنا أؤمن أنه هو المسيح الذي حُبل به بلا زواج (٤٩٠).

٧- زكريا: تنبأ عن يوم معلوم للرب بعد انقضاء سبي أورشليم قائلاً: ويكون يوم واحد معروف للرب، لا نهار ولا ليل، ويكون أنه في وقت المساء يكون نور (زك ١٤: ٨). والنور الذي عنه تكلم زكريا قد أشرق اليوم في بيت لحم (٤٧٩).

٨- موسى: العوسجة التي رآها موسى تشتعل ولا تحترق رأى فيها السريان رمزاً لحلول اللّه الابن في حشا مريم حافظاً لها بكارتها. رأى موسى أعجوبة على الجبل ناراً في عوسجة والعوسجة لا تحترق. فصوّر رمزاً للابن الحيّ، إنه نار وحلّ في حشا جسديّ، فالمجد للصالح الذي جاء وأتمّ الرموز التي أعلن عنها بالروح الأنبياء (٤٨٥)

٩- يونان: كما أن يونان حُفظ من كلّ شرّ في بطن الحوت هكذا الابن المتجسّد من مريم حُفظ هو وهي من كل شرّ. قذف الحوت من أمعائه يونان النبي دون أن يصيبه بأذى، كما تلقّاه، هكذا عندما دخل الكلمة في البتول وحلّ فيها واتخذ جسداً منها ومنها وُلد، صانها من كل أذيّة، إنه غير محدود وارتضى بأن يحدّه حشا وصانَ من ولدته ونجّاها من كلّ أذيّة (أي لم تمسّ بكارتها) (٥٠١).

١٠- الفتيان الثلاثة: صنع الملك نبوكد نصر تمثالاً من ذهب وأمر أن يسجد له الجميع، غير أن فتياناً ثلاثة إسرائيليين هم شدرك وميشَك وعبدَ نجو رفضوا السجود للتمثال. حنق عندئذٍ الملك وأمر بأن يُلقوا في أتّون نار متّقدة. لكن اللّه الحقّ نجّاهم فكانوا يتمشّون في وسط اللهيب مسبّحين اللّه ومباركين الرب (ط. دا. ٣: ٨-٢٣).

أمراً مذهلاً وغير طبيعي أظهر الأتون الذي رشّ يوماً طلاً و لم يحرق الفتيان الذين تلقّاهم، وهكذا لم تحرق الفتاةَ نارُ اللّه (يسوع المسيح) التي سكنت فيها (٥٠٢).

١١- الروح القدس الناطق بالأنبياء: مثّل الروح القدس (طفل بيت لحم) بدودة لأن ميلاده كان بدون زواج واليوم تمّ تفسيره (٤٧٩-٤٨٠).

ففي بيت لحم تحقّق كلام الأنبياء الذين أشاروا اليه بأنه غصن الحياة، والخبز المشبع جوعنا، والنور والكوكب الذي ظهر منها (البتول مريم) (٤٧٥).

فتشكرك (يا يسوع) بيت لحم لأنها كانت أهلاً لميلادك. وكلام ميخا يضفر اكليلك. فالنبؤة التي شكّلت جنّةَ زهور تدعو الأنبياء والملوك ليضفروا إكليله (إكليل مولده). فموسى حامل مثاله وأشعيا سرّ أسراره والسوسن كل ما كُتب عن رموزه (٤٨٠-٤٨١).

وتهنئ كنيستنا الأنبياء وتدعوهم الى أن يفرحوا في قبورهم لأنه قد تحقّقت أقوالهم التي بها تنبأوا عن ميلادك يا ابن اللّه (٥٠٦).

الاكتتاب – بيت لحم – المغارة والمذود

صعد يوسف ومريم من مدينة الناصرة الى بيت لحم مدينة داود ليكتتبا إطاعة لأمر القيصر أوغسطس بإحصاء سكان المملكة الرومانية والبلاد التابعة لها. وكانت مريم البتول حاملاً، تشبه سفينة حاملة كنزاً هو شبل الأسد، كما كتب يعقوب، وهذا الشبل الاله لم يأنف من بقائه تسعة أشهر في حشا العذراء أمّه. وفيما هما سائران في الطريق التفتت البتول الى يوسف وقالت له: يا يوسف أزفت ساعة ولادة الحَمَل، فصلّى يوسف البار بشجون الى اللّه وقال: يا رب يا خالق العلى والعمق وأعماق الأرض والبحار وما فيها، ألا، رحماك، ارأف بأمتك في يوم ولادتك، إذ انها لا سرير ولا فراش حتى ولا بيت لها تأوي اليه لتستتر فيه – تبارك من ترك المركبة في العلى واختار له مذوداً في مغارة ليحيينا بتواضعه (٤٧٥).

ففي ملء الزمان أرسل اللّه وحيده الكلمة لينقذ آدم من الشرير الذي أهلكه، فحلّ في حشا البتول جبّار العوالم الذي لا يحدّ ولا يحتويه مكان، لكنه شاء وبقي تسعة أشهر في حشا البتول ووُلد طفلاً في بيت لحم (٤٩٢). وتتوجه كنيستنا الى مدينتي بيت لحم والناصرة وتطلب منهما أن يعظّما اللّه: ترنمي وسبحي يا بيت لحم، ويا ناصرة مجدّي المسيح في يوم ميلاده من البتول مريم، ففي المدينة الاولى ولدته وفي الثانية ناغته. والى بيت لحم طارت الجموع العلويّة النورانيّة الروحانيّة وسبّحوا وشكروا ميلادك في بيت لحم وفرحوا وتعزّوا واستحقّوا أن يروا بهاءَك عن طريق جسدك البشري. تشكرك بيت لحم لأنه فيها تحقّقت أقوال الأنبياء الذين رمزوا الى المولود: هو غصن الحياة والخبز المشبع جوعنا والنور والنجم أشرق بالولد الذي رأى النور فيها (بيت لحم) (٤٧٤-٤٧٥).

في مغارة يولد الكلمة، مَن السماء صغيرة لديه؛ يا للمعجزة التي تفوق كل عقل وأمل، مغارة استحالت الى سماء والعرش فيها هي البتول، والمذود أصبح

مكاناً بهيّاً فيه اضّجع المسيح الهنا غير المحدود (٥٠٣). مذود صغير كفى لمولد مَن السماء صغيرة لديه (٤٦٥).

وهذا الولد المضّجع والذي فيه الخلاص، وُلد من الآب قبل الزمان ووُلد من البتول مريم في ملء الزمان، وهذا الولد الذي فيه الخلاص لا يُدرك مولده من الآب ولا يفسّر مولده من مريم... هذا الولد الذي ولدته الفتاة ميلاداً يفوق كل وصف هو طرَدَ ظلام الضلال من العالم بأسره، هذا الولد الذي فيه الخلاص ولده الآب قبل الزمان ونبت وصعد من الأرض العطشى مريم في ملءِ الزمان. (٥٠٥).

إذاً حضنان ولداك يا ربنا ووهباك لنا. كان لك مولدان عجائبيّان: ولدك الآب في البدء أما ميلادك الثاني من مريم فلأنك اردت أن تخلص البرايا لذا سلكت سبيلاً في العالم وكان بدء متفاك من مريم (٤٨٠).

وهنا يلذّ لنا أن نعرّب ما جاء في مداريش ثلاثة:

١- المدراش الأول اللازمة: لك المجد من كل الأفواه، أيها الابن الشبيه كله بأبيه[٨]. (٤٧٨-٤٧٩)

أي مائت يستطيع أن يحدّث عن محيي الجميع الذي ترك عُلى عظمته ونزل وصار حقيراً. فيا من عظّم الجميعَ بميلاده أَنِم عقلي الحقير لأتحدّث عن ولادتك، لا لأبحث عن عظمتك بل لأبشّر بنعمتك. تبارك مَن اخباره هي خفيّة وظاهرة.

عجب كبير أن الابن حلّ كله في الجسد وسكن فيه مكتفياً به. حلّ فيه (الجسد) ولم يحدّه. إرادته كلها فيه إلاّ أنه لم يحدّها، فمن يقدر أن يتحدّث عنه لأنه كله حالّ في الجسد وكله حالّ في الكل. تبارك مَن لا يُحدّ أبداً.

عظمتك خفيّة عنا ونعمتك ظاهرة لدينا: اني أصمت عن عظمتك وأتكلّم عن نعمتك، هذه النعمة التي لزمتك فأحدرتك الينا نحن البائسين وصيّرتك طفلاً

[٨] نعرب النص السرياني كما جاء في الفنقيت الذي يختلف أحياناً عن بعض النصوص الأخرى.

وصيرتك إنساناً. هكذا انقبضت عظمتك وامتدّت. تباركت قوّتك التي صُغرت وكبرت.

يوم ميلادك يشبهك، إنه مشتهًى ومحبوبٌ مثلك. نحن لم نَر ميلادك وأحببناه كما لو كُنّا في أيامه. في ذلك اليوم نراك طفلاً مثلنا يحبّه الجميع. ها إن البيع جميعها تبتهج راقصة فيه. جمِّل يومك فيتجمّل. تبارك ميلادك لأجلنا.

يقرأ الكتبة كل يوم أنه سيشرق كوكب من يعقوب؛ فللشعب (اليهودي) القول والقراءَة وللشعوب الظهور والتفسير (للكتب المقدسة)، لهم الكتب ولنا الحقائق، لهم الأغصان ولنا ثمرها، لهم الرمز ولنا الشرح. يقرأ الكتبة في الأسفار ويرى المجوس بالعمل بهاء تلك الأسفار. تبارك مَن زاد لنا من أسفارهم.

نلنا بميلادك عطيّة لا مثيل لها لدى الآب. إنه لم يرسل لنا أحد الكاروبيم ولم ينحدر الينا أحد من الساروفيم ولم يأتنا الساهرون (الملائكة) الخدمَةَ بل جاءَنا البكر المخدوم فمن يستطيع أن يؤدّي الشكر للربوبيّة التي لا تقاس. انها مضّجعة في مذود حقير. تبارك مَن أعطانا كل ما يملك.

ظهر المخلص للعميان أما هم فكانوا ينتظرون آخر. أرسلت الشمس أشعّتها أما هم فآثروا التسربل بالظلام. أرسل النور أشعّته وجاء بأبناء النور ليُطلعوا أبناء الظلمة على أن النور هو ما بينهم، أما هم فكانت غشاوة على عيونهم. فالمجد لك أيها المسيح الشمس.

٢- المدراش الثاني لمار أفرام اللازمة: لك المجد يا ابن ربّ الجميع لأنك صرت ابناً للبتول (٤٧٩-٤٨٠)

قد أبهج هذا اليوم، يا رب، الملوكَ والكهنة والأنبياء، لأنه قد تمّت فيه أقوالهم وتحقّقت جميعها.

اليوم ولدت العذراء عمانوئيل في بيت لحم فتحقّق في هذا اليوم ما تكلّم به عنه أشعيا.

اليوم وُلد هنالك من يحصي الشعوب في السجلاّت فتحقّق في هذا اليوم النشيد الذي قاله داود.

نزل النور العلوي وأبان الجسدُ جماله، اليوم شعّ في بيت لحم الضياء الذي عنه قال زكريا.

أشرق لنا النور الملكيّ بأفراتا قرية داود فتمّ تفسير البركة التي أعطاها يعقوب.

شبّه الروح بدودة مولد المسيح الذي تمّ بدون زواج فاليوم فُهم معنى الرَمز الذي به صوّره الروح القدس.

ألقى آدم الحق على المرأة التي منه خرجت واليوم وفته الحق لأنها ولدت له المخلص.

يفرح اليوم الايقاظ لأن اليقظ أتى ليوقظنا ففي هذا الليل من ينام وفيه البرّية كلها يقظة؟

في هذا الليل ليل الغفران بعداً للإساءَة، في هذا اليوم يوم الأفراح بعداً لكل كآبة.

في هذا اليوم الذي فيه افتقر الغني لأجلنا ليشرك الغنيّ الفقيرَ في مائدته.

٣- المدراش الثالث لمار أفرام أيضاً اللازمة فيه: مبارك من وهبنا إياك بدون أن نطلبك لكي نشكر بك اباك على موهبته (٤٨١-٤٨٢).

يومك يشابهك يا محبّ البشر إنه يتعاقب ويأتي مع كل الأجيال.

مبارك يا ربّ ميلادك الأوّل المرسوم به يوم عيدك هذا.

يومك إذا زارنا وعبر وذهب، يعود بحنانك فيزورنا من جديد. يعرف أن البشرية محتاجة للمراحم التي تحلّ عليه في هذا اليوم.

يومك صالحَ السماء والأرض إذ به نزل العلّي نحو الأرضيين إن البريّة محتاجة الى ينبوعه وكلها عطشى اليه كما إليك يا سيدي.

عظيم هو يومك يا رب، لا يصغر بنا ليرحم كعادته جهالاتنا، وإذا كان غفرانك، يا رب، يفيض كل يوم فحرّي أن يزداد فيضاً هذا اليوم.

في كانون الطويل الليالي أشرق لنا نهار لا ينتهي، وفي الشتاء الذي فيه تظلم البريّة كلها ظهر جمالٌ فرّح البرايا كلها.

الحَمل الجديد لا يراه أوّلاً سوى الرعاة، هكذا حينما وُلد حمل الحق بُشِّر به الرعاة أوّلاً.

في كانون إذ يتوارى الزرع في الأرض نبتت في الحشا سنبلة الحياة، والشتاء الذي يجعل الأرض عاقراً تعلّمت فيه البتوليّة الولادة.

مَن يستطيع أن يصف الابن الحيّ الذي نزل واتّخذ له جسداً في الحشا وخرج منه، ورضع حليباً وحَبَا كطفل هو خالق الجميع.

عظيم هو يومك، يا رب، فلا يُستهان به، فكلّ إنسان موقَّرٌ هو يوم ولادته، الرقص الدنس طاب للطاغية (هيرودس) ليطب لك، يا رب، صوت العفيفات.

عيد المتواضع هادئ مثله فشمسه مشرقة على المفترين عليه. وعيدك أنت يا مغني الجميع بالبرّ يُلقي الكسر المتناثرة.

الملائكة والرعاة

يكتب لوقا البشير في إنجيله (٢: ٦-٧)، "فبينما هما هناك (يوسف ومريم في بيت لحم) تمّت أيّامها لتلد فولدت ابنها البكر ولفّته بقمط ووضعته في مذود. لأنهما لم يكن لهما موضع حيث نزلا" وكنيستنا السريانية تصلّي وتقول: إن الجماهير المتوقّدة (الملائكة) تغطّي وجوهها من بهاء نورك ورأوك اليوم مولوداً على الأرض في بيت لحم ومجّدوا تواضعك (٤٩٢) وركعوا وسجدوا وهتفوا: قدوس قدوس في العلى والعمق (٤٨٦) وسبّحوا في بيت لحم قائلين المجد في

الأعالي للإله المتأنّس وعلى الأرض السلام والرجاء والفرح لأنه قد وُلد المسيح (٤٦٦) إن هذه ترتيلة العلويّين كلها عجب (٥٠٥). ويصف لوقا ميلاد المسيح كاتباً (٢: ٨-١٤). وكان في تلك الكورة رعاة متبدّون. يحرسون حراسة الليل نوباً على مراعيهم. وإذا ملاك الرب قد وقف بهم. ومجد الرب أشرق عليهم. فخافوا خوفاً عظيماً. فقال لهم الملاك: لا تخافوا لأني ها أنا أبشّركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. إنهُ وُلد لكم اليوم مخلّص، الذي هو المسيح الرب. في مدينة داود. وهذه علامة انكم تجدون طفلاً ملفوفاً مضجعاً في مذود. وظهر بغتةً مع الملاك جنود كثير سماويّون يسبِّحون اللّه ويقولون: المجد للّه في العلى وعلى الأرض السلام. وفي الناس المسرّة الصالحة."

حضر إذاً ملاك الرب الرعاة الذينَ كانوا يتناوبون السهر في الليل على رعيّتهم ثم انضمّ اليه جمهور من القوّات السماويّة يسبّحون هاتفين: المجد للّه في الأعالي وعلى الأرض السلام والأمن والرجاء الصالح لبني البشر، والنور والحياة لجميع الخلائق. قد أشرق لهم في العالم المسيح ابن مريم الممجّد (٥٠٢، ٤٦٥ و٤٦٩).

وما كان نزول الملائكة إلاّ ليبشّروا الرعاة بأعجوبة حدثت أي بميلاد المخلّص المسجود له، ميلاد المسيح الملك في مدينة داود (٤٦٨، ٤٧٢، ٤٧٥ - ٤٧٦).

لّما انصرف الملائكة عنهم الى السماء قال الرعاة بعضهم لبعض وهم منذهلون: لنسِرْ ونمضِ لنرى المسيح المولود في بيت لحم كما قيل لنا. ولما وصلوا ورأوا الطفل مدرجاً بالقمط مع والدته ركعوا وسجدوا له قائلين: تباركت يا رب يا اله آبائنا (٤٦٦ و٥٠٢).

ويصف مار أفرام في مدراشه، ذي اللازمة: المجد لك ايها الابن الشهي المولود من بتول: يصف افرام زيارة الرعاة للمولود الإلهي ويقول:

اقترب الرعاة بعصيّهم وسجدوا له، سلّموا عليه وهم يتنبّأون: سلام يا عظيم الرعاة، عصا موسى تشكر عصاك يا راعي الكل (٤٧٦-٤٧٧) ويضيف افرام: إن الرعاة قدّموا هداياهم الوضيعة: أتى الرعاة حاملين خيرات الغنم، حليباً

ولحماً نقيّاً وتسبيحاً بهيّاً، ميّزوا فأعطوا ليوسف لحماً لمريم حليباً وللابن تسبيحاً (٤٧٧) ثـم حملوا فقرّبوا حملاً رضيعاً لحمل الفصح، بكراً للبكر، ذبيحة للذبيحة، حمل الزمان لحمل الحق. يا لجمال المشهد حمل يُقرَّب لحمل (٤٧٧) فثغا الحمل وهو يقرَّب أمام البكر وشكر الحمل الذي أتى وحرّر الخراف والثيران من الذبائح، (وحرّر) حملَ الفصح الذي نقل الينا وأبلغنا سرّ الابن (٤٧٧- ٤٧٨).

وبعد أن دنا الرعاة من الحمل الذي أتى ليحرّر رعيّته وسجدوا له، هتفوا وقالوا وهم فرحون: السلام عليك ايها الراعي يا من يرعى كل العشائر، يا من تطأطأت لتطلب الخروف الذي ضلّ وضاع من حظيرتك. فأخذته وحملته على كتفيك فكان فرح لدى الأيقاظ والملائكة بالخروف الضالّ الذي عاد (٥٠١).

الطفل في المذود

حقاً لعجب هو أن الخفيّ في حضن أبيه منذ الأزل والمولود منه قبل كل الدهور، شاء ونزل وصار إنساناً في حضن أمه (٤٩٠ و ٥١٠) فوُلد ميلاداً جسدياً بدون زرع (٤٩٩) مَن ولده الآب قبل أن تُخلق الشمس (٥٠١) فهو الهٌ وإنسانٌ حقّاً، صار إنساناً وثبت إلهاً (٥٠٠) فمحروم مَن ينكر بأنه إله (٤٩٣). فمَن ولده الآب منذ الأزل بلا أم وُلد اليوم بالجسد من بتول دون أب (٥٠٨) ولم تفضّ بكارتها (٤٩١).

حملت مريم على صدرها مَن ترتعد منه طغمات السماويّين. وبينا يطلب منه الجميع قوتهم، يطلب هو من مريم حليباً كسائر الأطفال وهي تعطيه إياه (٤٩١ و ٥١٠). إن هذا لأمر عجيب، كيف أن مُسقِط المطر على الأرض نراه ماسكاً ثدي أمّه، وأن مغذّي العوالم رضع حليباً (٤٩٨).

ومريم الفقيرة لفّت بالقمط ذلك المتسربل بالبهاء والوقار (٤٦٧) مَن كانَ منذ الأزل ومَن السماء ملأى من تسبحته (٤٦٩) وإن الأقدم من الدهور ومن

الأجيال تطأطأ وصار طفلاً، وحَبَا في أسواق صهيون مَن جبل آدم في الفردوس، ورضع حليباً المغذّي كل البرايا، وذراعان تضمّان مَن يضمّ العلى والعمق، يهابه النورانيون ويناغيه الترابيّون (٥٠٩-٥١٠) ويُحمل على الركب مَن يرتعد منه الكاروبيم (٤٦٧) وهو الذي أباد سلطان الشرير وأنار الأقطار الأربعة المظلِمة من قديم الزمان، ولمّا أُخبر الشيطان أنه قد وُلد ابن اللّه، ولول وبكى قائلاً: الويل لي لأن سلطاني في مملكتي نُزع مني منذ الآن وزال.

هذا الطفل المضّجع في المذود هو الوحيد كلمة الآب أصل كل الصالحات والمساوي لأبيه بطبيعته الإلهية، هو بهاء مجده وصورة جوهره، ولادته تفوق كل وصف. قد قبل بارتياح وبشاشة أن ينحدر إلينا فطأطأ السماء العالية المملؤة من بهائه، ونزل ووُلد على الأرض لأجلنا، وصار طفلاً وهو إله بعد ولادته الزمنيّة هذه التي يعجز عن وصفها اللسان والفكر والسمع. هو كلمة اللّه الغير المنفصل عن أبيه وأتى وصار إنساناً لخلاص البشريّة. هو الولد الذي لا بدء له ووُلد الآن وهو الابن الذي أعطي لنا لخلاصنا (٤٨٣ - ٤٨٤).

وهذا الطفل المضّجع في المذود هو:

الولد السرمدّي الإله الذي لا بدء له، ربّ الأنوار الذي ظهر من الحشا كشمس وأنار العالم بنور جماله، مربّي الأجنّة في الأحشاء صار طفلاً في حشا مريم، الأقدم من العوالم والمخلوقات أصبح ابناً لداود في آخر الأزمنة، منزل الأمطار والندى والرذاذ على الأراضي رضع نقط حليب من ثديَيْ بنت داود،

موطّد الجبال ومثبّتها بقوّته اتكأ في مغارة،

الحامل الرقيع بقدرته حملته فتاة في حضنها، ذو العزة السنيّة لفّ بقمط لتواضعه، الصالح الذي يخافه الكاروبيم يتزيّح على ذراعي مريم، القدوس الذي يرهبه الساروفيم تناغيه بنت داود، الذي يحرّك البرايا بإشارته يحبو كطفل في

بيت لحم (٤٦٦) الغني بطبيعته لفَّ ذاته بقمط (٤٨٢) واضّجع في مذود حقير بمغارة حقيرة مثل إنسان حقير.

وهنا يطيب لنا أن ننشر معرّبين مدراشين لمار افرام وردا في القومة الثانية لصلاة ليل عيد الميلاد وهما عميقا التفكير وبليغا المعاني.

١- المدراش الأول (٤٨٦-٤٨٨) وضعه مار افرام مرتّبا على الحروف الأبجدية، غير أنه لم يرد في الفنقيت إلاّ الأبيات المبتدئة بالأحرف التالية: ا ب ج د ح ي ل م ع ر ش. وأهملت الأبيات المبتدئة بالأحرف هـ و ز ط ك ن س ف ص ق ت وسننشر هذه الأبيات الأخيرة في ملحق (ص ٣٥). نشر هذا النشيد بالسريانية والعربية السعيد الذكر البطريرك افرام رحماني في مجلة الآثار الشرقية، السنة الأولى ١٩٢٦ ص ٤٤٤ - ٤٤٨ والسنة الثانية ١٩٢٧ ص ٤ - ١٢.

المدراش. اللازمة: المجد لك يا رب، يا من اعتقت بميلادك البرايا من ربق الخطيئة.

ܐ آ- ائذن لي يا مولاي أن أفيض في وصفك بإيمان وابالغ في مدحك أيها الإله العجيب. فإنك في الحقّ عجيب تفوق كل عجب. وقد دعاك النبي "عجباً"[٩] فأنت أعجوبة كلها عجب بل أنت أعجوبة الأعاجيب. الحبل بك عجيب. وميلادك عجيب وكلّك عجيب. وأنت أعجوبة هيهات أن تحدّها المدارك هللويه[١٠].

ܒ ب- أيها الإله غير المحدود بك أبداً منظومتي واثقاً بك البلوغ الى خاتمتها. ها أنذا أفتح فمي في وصف اتضاعك فأوعبه يا رب من كنوزك. أنا الأرض وأنت الأكّار. فيا من بذر ذاته في مستودع والدته. ابذر صوتك في فم

---

[٩] أشعيا ٩: ٦.

[١٠] النصّ الذي نشره البطريرك افرام رحماني يُختم كل بيت فيه بكلمتَيْ "لك التسبيح" أما النص المنشور في الفنقيت فيُختم بكلمة هللويه.

عبدك البطّال. أنت الإله الذي اتلد من الآب سرمديّاً وبزغ منه دون بذر. ثم تجسّد من مريم التي أثمرت من دون أن تقبل بذاراً هللويه.

ܠܐܚܡܪ ل- بمن اشبهك أيها الإله الذي لا شبيه له. إنك تشابه أباك وتشابه أمّك. أما أبوك فلست تشابهه بالألوان بل بالجبروت والأزليّة والجوهر والسلطان. وتشابه مريم والدتك باتّخاذك منها صورة إنسان. إذاً تشابه أباك وتشابه أمّك بل تشابه ذاتك فيا من اتّخذ له شبه العبد هللويه.

ܡܐ م- ما أعزّك وما أوضعك وما أقدرك. إن أمرك لخفيّ وجليّ معاً. تخفّ للقاء كل أحد. وتبتسم لمن يقابلك. جبينك يفتن من يعانقك. شفتاك مضمّختان بترياق الحياة. وأصابعك تقطر بلسماً. عيناك النجلاوان تحدّقان في والدتك المتلهّفة الى مشاهدتك. اليك يتوق بنو البيعة هللويه.

ܥܢܐ ع[11]- وافيت يا ابن اللّه وابن العذراء في طلب الغنمة الناطقة فصرت حملاً. وما سمعتْ ثغاءك الغنمة الضالة حتى بادرت الى لقياك. فيا للحمل الغرّ. ويا للجديد الذي استقلّ القديم. يا للحَبْر والذبيحة. يا للعجب ويا للدهشة. ما أحلاك أيها الطفل الرضيع هللويه.

ܓܢܒܪ ج- هو جبّار العالمين وجبّار الأجناد العلويّين المحتجب بجوهره والخفيّ بألوهيته. حملت مريم وولدته وهي تحتضنه وتعانقه وتقبّله فيهشّ لها، يحدّق فيها ويبتسم كالرضيع. وهو مضجع في المذود ومُدرَج بالقمط ولا يكاد يبكي حتى تنهض وترضعه وتعانقه وتناغيه وتهدأه على ركبتيها فيهدأ هللويه.

ܕܘܝܕ د- سبق داود أبوك فأنشد لك أيها الإله غير المحدود أنشودة قبل أن تأتي الى العالم. وتنبّأ عنك بذكره ذهب سبا[12]. فها هوذا الذهب والمرّ واللبان

---

[11] في الفنقيت زيد حرف اللام قبل حرف العين وممكن زيادتها لكنما كان يجب ألاّ تزاد ليبقى الحرف الاول عين مثلما ورد في النص الذي نشره البطريرك رحماني في الآثار الشرقية، السنة الثانية ص ٨.

[12] مز ١٧:١٥ يختم البيت في الفنقيت بـ "فطوبى لمن لا يشكّ فيك"

مكوّمة أمامك أيها الطفل العزيز إجلالاً لألوهيّتك. فالذهب يشير الى كونك ملكاً. واللبان الى أزليّتك والمرّ الى دفنتك. فطوبى لمن ابتهج بميلادك[12] هللويه.

ܝܘܕ ي- إنك أنت ابن الآب وأنت ابن مريم المجيد. وأنت واحد أيها الكلمة المتجسّد. ولدتك أمّك ميلاداً يفوق الطبيعة وولدك الآب ميلاداً جوهريّاً. فيا أيها الطفل الإله إنك ابن وحيد من الآب ومن مريم. فيك اجتمع ملء الحِكَم الوافرة وأنت مضجع ترضع الحليب من عذراء هللويه[13].

ܫܝܢ ش- ما أبهى جمالك ويا ما أزكى عرفك. ما أحلى فاك أيها الطفل الإله. فالسماويّون يرتاعون من القوّة الصادرة من فمك ومريمِ واقفة متحيّرة ترتجف البرايا هلعاً لأدنى إشارة منك. أنت المقيت العوالم بِمِنَحِك. رضعت الحليب من العذراء في طفوليّتك. فيا أيها الابن غير المنظور الذي رضعت حليباً أنت أبدعته هللويه.

ܪܝܫ ر- يا عظيم أمّه وسيّد أمّه. يا إلاه أمّه ويا من هو أحدث من أمّه وأقدم منها. رحماك اهدأ هنيهة فلقد أدهشتْني جلالتك وبلبلَتْني. من يمكنه أن ينظرك ولا يعانقك. سكوتك يذهل الناظرين. ولثغتك تحيّر الفصحاء. يداك مدرجتان بالقمط. ورجلاك تلبطان. ما أحبّك بجملتك. فمك موعب من نطق أبيك هللويه.

ܚܝܬ ح- ما أجمل طلعتك ما أزكى عرفك ما أقدس فاك أيها الإله القدّوس. تتدفّق منك بأجمعك ينابيع الحياة. يا خبز الحياة المولود في بيت لحم[14] لأنك الحيّ

---

[13] في أسفل الصفحة ١٢ من الآثار الشرقية السنة الثانية العدد ١ تنبيه فيه أنه ورد البيت العاشر (حرف ياء) في مخطوط قديم مختلفاً اختلافاً زهيداً عمّا نشرناه (ص ٥) ونظنّه الأصلي والأصحّ (إنه يشبه تقريباً كل الشبه النص المنشور في الفنقيت (ص ٤٨٧). وتعريبه:
يا ابن الآب ويا ابنِ مريم إنك واحد وانت هو الكلمة الذي تجسّد. ولدتك الأم خلافاً للطبيعة (البشرية) وولدك الآب ميلاداً جوهريّاً وولدك الأردن خلافاً للعادة. فيا ايها الطفل الإلهيّ إِنك واحد من نهر الأردن ومن الأم ومن الآب...آلخ.

[14] معنى بيت لحم بيت الخبز.

المولود من الواحد الحيّ. ما أضوع شذاك. ما ألذّ طفوليّتك. ما أشهاك مأكلاً أيها العطوف أنت الطعام السماويّ أنت الشراب المحيي أنت الولد البتوليّ. طوبى لمن تاق الى ارتشاف دمك هللويه. (هنا طالع الملحق الأول ص٣٥)

٢- المدراش الثاني اللازمة فيه: "تبارك مولدك يا رب الجميع به استنارت الخليقة بأسرها".

أيتها البتول المغمورة بالعجائب قد عجزتُ عن أن أروي محاسنك. ولدك يفوق الإدراك ولا طاقة للكلام عنك. فمن يستطيع أن يفيك حقّك أيتها العذراء الأم، أيتها الغير متزوّجة يحيّرني ابنك. لذا ضممت صمتي الى حيرتي، قصرت الكلمات عن مدحك لأن أعمالك كلها هي مذهلة. فبك تحقّقت الرموز وبك انجلت الأمور الخفية. مبارك طفلك أيتها الطوباويّة. إن سموّه ملأني دهشاً.

عجيب مولدك يا مخلّص البشر، من يستطيع وصفه. قد حملتك بتول وهذا لغريب إنها حملتك بدون زواج. أنت مالئٌ حشاها مع أنها لم تقترن بأحد. إنه لعجب كبير أن تلد الفتاة دون أن تعرف رجلاً، وإنه لأمر مذهل أن تلد بتول وبَكَارتها ثابتة. يجيش الحليب في ثدييها وهي في أعضائها بتول. عظيم هو أمركِ أيتها الطوباويّة. مبارك من أشرق من طهارتك.

شوّق الحبّ العقل وحثّه على الدخول ليرى الابن، كيف أنه مولود من ذلك الخفيّ (اللّه الآب) بلا بدء ولا زمان، بلا حدّ ولا وقت. هو مولود منه وهو فيه. لا بدء لمولده ولا لجوهره، لا يعرف أحد متى وُلد، إن ولادته لا حدّ لها، ولا شيء ما بينه وبين ابيه. هو عظيم ممجّد مع أبيه، فلتكفّ الأفواه عن البحث عنه.

أيها الولد المنزّه عن الزمان هَبْ لي أن أتكلّم عن ميلادك. إنني لعارِف بأنه لا يمكن أن تُدرَك. أنت محجوب في كيانك وبيانُك في لاهوتِك. هو الحبّ

الذي رام أن يتكلّم عنك، فافتح له يـا سيّدي البـاب، إنّـه لا يريـد الاستقصاء عنك، أعطه أن يمجّدك ويسجد لـك دون أن يستقصي عنـك. يريـد أن يشيد بذكرِك لا أن يبحث عنك. أيها الغير المنظور الـذي لا يقـدر أن يدركـه عقـل، اكشف لي عن ذاتك بالأناشيد التي أرفعها اليك.

ويحتار العقل أمام سرّ التأنسّ ويمتلئ عجباً فيهتف الإنسـان أمـام إلـه متـأنّس مضجع في مذود حقير بمغارة حقيرة:

عجيب أنت إذ صرت إنساناً وأنت في طبيعتك الإلهيّة على ما أنت

عجيب أنت إنك مضجع في مغارة والسماء والأرض مملؤتان منك.

عجيب أنت لأنه بتأنسّك أشرق نورك على العالم وبدّد الظلام المخيّـم علـى جميع الأقطار.

عجيب أنت غير المحدود بجوهرك صرت محـدوداً في حشـا البتـول أنـت أيهـا الغير المحدود.

عجيب أنت لأنك صالحت أبـاك مـع الخليقـة وزرعـت الأمـان والسـلام في المسكونة. (٤٦٧)

عجيب أنت أيها الإله الذي انحدرت وتجسّدت من مريـم فصـرت طفـلاً في حشاها، ووُلدت بالجسد وأدرجت بالقمط مع أن السـماء لا تسـعك والملائكـة يرهبونك (٤٦٨).

عجيب أنت كلّك يا ابن اللّه، عجيب ميلادك من البتول ميـلاد لا يُسـتطاع وصفه (٤٧٤)

عجيب أنت ومدهش للعقول الـتي خلقـتَ، أيهـا الخفـيّ الـذي ظهـر، النـار والروح يحملان لاهوتك لكونك إلهاً ولأنك صرت إنساناً كـانت مريـم مركبـة جسدية لناسوتك، انت الدائم المولود من الآب وصرت إنساناً بإرادتك (٥٠٩) أدهـش يـوم ميـلادك الجمـوع العلويّـة، وهلّلـت السـماء والأرض بجماهيرهمـا،

وهتف الملائكة بتمجيدك وقدّم الأرضيّون هداياهم لك أنت غير المنقسم (٤٧٤). فالمجد لك أيها الأصل المبارك الذي نما وصعد من مريم الأرض العطشى والذي استنشقه الأموات فحيوا (٤٦٨) يا نوراً من نور، يا من أنرت بظهورك الجالسين في الظلمة وظلال الموت (٤٩٨). اليوم تحقّق المزمور الذي ترنّم به داود: قال لي الرب أنت ابني وأنا اليوم ولدتك نوراً للأمم المؤمنة بالثالوث (٥٠٦). أنت ابن الآب الأبدي المتساوي في الجوهر لأبيك ولروحك القدوس (٥٠٤) ميلادك غمر الخليقة فرحاً فحوّلتَ الأرض سماءً واختلط الملائكة بالبشر يحيطون بمذودك.

فيا واهب الحياة غذّنا بك كبخبز، وأسند قلوبنا الجائعة بكلمتك المغذّية (٤٨٣) ويصرخ الولهان بالكلمة الإلهي الذي تنازل وصار إنساناً ليفدي الإنسان: "أين يجدك من يطلبك أين يراك من يحبّك، أيفتّش عنك في السماء في حضن أبيك أو في أفراتا في مغارة بيت لحم.

أنت تقيم في العلى والعمق أنت محجوب في حضن أبيك وظاهر في حضن مريم (٤٨١).

إن المسيح وُلد ولم يفارق قط حضن أبيه، وجاء في ملء الزمان وتجسّد من البتول مريم (٤٦٦)

ونختم بطلبة مار يعقوب (٤٦٩):

هلّم أيها الحكيم وشاهد طفلاً مدرجاً بالقمط، تأمله: إن كل الخلائق معلّقة بإشارته. تعجَّبْ منه موضوعاً في مذود ببيت لحم بينما هو مع والده يدبّر العلى والعمق.

أنظر اليه جالساً على مركبة يحملها السماويّون وأنظره تحمله بتول في حضنها. آل جبرائيل منطرحون على وجوههم وآل يوسف يحملونه على أذرعهم. يصبّ جماهير الساروفيم التقاديس أمامه ويحمله الناس ويغرّدون له

بألسنتهم. السماء أصغر من أن تحويه وإن كان حالاً فيها وحشا مريم رحب ويحمله. ليقُم مصاف النورانيّين بالتسبيح يوم ميلادك يا ربنا وليكثر الشكر لك بنو آدم لتمجّدك السماء والأرض والبحر واليابسة في يوم ميلادك الذي فرّحها ولك التسبيح.

مريم أم اللّه[١٥] ويوسف البتول

قالت العذراء ليوسف، لما كانا ذاهبين للاكتتاب، وكانت قد اقتربت ولادتها. ها قد قرب زمن ولادتي، قم يا يوسف لنذهب الى بيت لحم. إني لا أملك سريراً ولا بيتاً ولا فراشاً. أنا فقيرة، سألد في مغارة الأقدمَ من العوالم وأضعه في مذود حقير وأناغيه (٤٩٣) إنه ولد أزليّ أبديّ حُبل به في رحم هو برأها وحُبس في بطن هو صنعه وأشرق من حشا هو خلقه (٤٦٦) هكذا كانت مريم بنت داود وحدها مثل سفينة حاملة كنزاً، حاملة شبل الأسد كما كتب يعقوب (٤٧٥) تسير هذه السفينة في بحر هذا العالم، الأمواج ثائرة والظلمات مدلهمّة غير أن الرب كان يحرسها ويقودها الى بيت لحم. فالذي يباركه الكاروبيم ويقدّسه الساروفيم ويهتف الملائكة قائلين: المجد في العلى والسلام على الأرض والرجاء الصالح للبشر، إن اللّه صار إنساناً وبميلاده خلصنا (٤٧٦). إن المركبة لصغيرة لربوبيّتك (يا يسوع الطفل) وأنت الآن في بيت لحم مقمّط وتلك البنت المسكينة تعطيك حليباً نقيّاً وتسجد لك يا مشبع جوعنا (٤٩٢) ويسوع الذي أشبع الآلاف في البرّيّة (٥٠٦) هو يرضع حليباً كطفل وتناغيه فتاة وهو على ركبتيها وتضمّه الى صدرها وتقبّله هو الشبيه بأبيه (٤٩٢-٤٩٣). وتقول له: الطوبى لي لأنك أهّلتني لأكون أمّك يا كلمة الآب يا ابن ربّ الجميع (٤٨٥). يا أيتها القوّة الخفيّة حاملةُ الأرض والسماء حملتك

[١٥] قلنا الكثير عن والدة اللّه مريم العذراء ونضيف هنا هذا القليل.

البتول (٥٠٥). وترفع الكنيسة حمدها وتقول المجد للآب الذي حبّاً بنا أرسل ابنه لخلاصنا فنزل وحلّ بالبتول مريم غير المتزوّجة فدخلها اللّه الكلمة وخرج منها اللّه المتأنسّ وبكارتها مختومة ومحفوظة. (٥٠٦) وهكذا يتمّ ما قيل في قديم الزمان ها إن العذراء النقيّة قد حبلت وولدت طفلاً هو الذي تجسَّد وبقيت بتولاً تلك التي بها ولأجلها رضي اللّه عنّا نحن الخطأة، إنها أمُّ اللّه حقيقة وايماناً (٥٠١). ويوسف[١٦] البار الناصري احترم والدتك (أيها الطفل يسوع) وكرّمها واحترم وكرّم ذاك الذي ولدَتْه وبواسطتها تأهّل لأن يدعى أباً عندما تجسدت من تلك التي لم تعرف زواجاً ولا رجلاً (٤٧٣) وكان ميلاد الابن وإدراجه بالقمط وإضجاعه في مذود موضوع تعجّب ليوسف، كما أنه اندهش من هدايا الرعاة وقرابين المجوس: الذهب والمرّ واللبان - ونضيف نحن السريان في صلاتنا - وبدلا منها نقرّب لك إيماناً ورجاءً وحبّاً (٤٨٤).

ويقول مار افرام في مدراش لازمته: لك التسبيح يا ثمرة شهيّة من بتول "إن النجّارين زاروا زميلهم النجّار للمباركة بولادة الابن مهنّئين" أتى النجارون من أجل يوسف الى ابن يوسف تبارك ولدك يا رئيس النجّارين فهو الذي رسم تلك السفينة[١٧] وهو الذي ركّب المسكن الزمني[١٨] الذي كان لحين (٤٧٨) (هنا طالع الملحق الثاني ص ٣٨)

[١٦] يوسف البار اختاره اللّه فقط ليكون المربي ليسوع والحارس الأمين له ولأمّه مريم البتول والعون لهما عند احتياجهما لعون. رافق العذراء الى بيت لحم - أوجد لها مكاناً لولادتها - هرب بالطفل يسوع وأمّه الى مصر وأعادهما الى الناصرة من مصر - فتّش هو ومريم عن الطفل لمّا أضاعاه في أورشليم - لذلك شيء قليل جدا قيل عنه في صلوات عيد الميلاد.

[١٧] سفينة نوح.

[١٨] قبّة الزمان في العهد القديم.

المجوس

بشارة عجيبة تمّت بنجم هادٍ أرسله اللّه الى المجوس به بشّرهم أن هنالك طفلاً ولدته أمّ وهي بتول عذراء (٥٠٣) وهذا الطفل هو جبّار العالمين، وبولادته لم تفضّ بكارة أمّه، وهي تناغي وترضع حليباً ذلك الذي يقيت الجميع. يا للمعجزة التي صنعها المسيح الملك يوم ولادته. إنه أرسل ملائكة للرعاة ونجماً للمجوس لتبشيرهم بأنْ قد وُلد لهم مخلّص العالم (٤٨٢) وبالنجم المنير الساطع في السماء استدلّ المجوس على الملك الممجّد المولود (٥٠٣). ولدى سماع هذا الخبر تحركت فارس وأتى منها المجوس حاملين هداياهم، وأخذوا يبحثون عن الطفل المولود حديثاً الذي ظهر لهم نجمه، وجاؤوا ليسجدوا له. ولدى وصولهم أورشليم غاب عنهم النجم فأخذوا يسألون أين وُلد الملك الذي جئنا اليه فلما سمع هيرودس أقوال المجوس اضطرب وفزع وهاج (٤٩٩، ٤٧٧، ٥٠٣ و ٤٦٥) فجمع عظماء الكهنة وكتبة الشعب واستخبرهم أين يولد المسيح. فقالوا له في بيت لحم اليهودية فقد أوحي الى النبي ميخا فكتب: "وانت يا بيت لحم أرض يهوذا لستِ أصغر ولايات يهوذا فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل" (طالع ص ٩ - ١٠ رقم ٥ - ميخا). لما عرف المجوس أن المسيح يولد في بيت لحم، مضوا الى بيت لحم الى مغارتها ودخلوها وشاهدوا الضياءَ الحالّ في المغارة مدرجاً بالقمط محاطاً بالنار فسبّحوا اللّه الذي افتقد مَن جَبَلَتْ يداه (٤٧٤) والمسيح الذي ترتاع منه القوّات في السماء يخدمه يوسف هنا على الأرض (٥١٠) ويسبّح المقمّط القديم الأيام (٤٩١-٤٩٢) ورأى المجوس أم المسيح تناغيه فركعوا وسجدوا له وقدّموا هداياهم معترفين بأنه ملك الجميع وربهم وإلههم. ثم عادوا الى وطنهم تاركين ذلك الطاغية الرديئ السيرة قاتل أطفال بيت لحم ومحتقرينه (٥٠٣).

كارزان اذاً كان للمسيح المتأنّس في العلى والعمق كما جاء في مدراش مار افرام "هذا هو الشهر" (٤٧٧). نجم نيّر هتف من فوق ويوحنا كرز من تحت، كارزان: أرضيّ وسماويّ. ذلك العلويّ أظهر طبيعته أنها من العظمة (الألوهيّة) والأرضي أظهر أن جسده هو من البشرية عجب عظيم أن لاهوته وناسوته قد كُرز بهما لدينا (٤٧٧).

وجميل ما جاء في القانون اليوناني[١٩] "مثلما خطفت بابل من صهيون الأطفال المتحدّرين من داود وكل ما فيها من كنوز وغنى، هكذا في ميلاد ابن داود، نجم قاد ملوك بابل حاملين له الهدايا والكنوز، خطفت يوماً بابل من صهيون الأطفال الذين ولدهم داود في السبي القاسي ثم أسرعت وأرسلت المجوس مع هداياهم الى بيت بنت داود المضيفة للعلّي وهم يمجّدون.

أخذت بابل غنيمةً كل ما في مملكة صهيون وسلبت يوماً غناها وكنوزها، فقاد المسيح من جديد بالكوكب الهادي ملوك بابل مع هداياها وكنوزها، وجاؤوا بها الى صهيون" (٥٠٢).

في بيت لحم وُلد الطفل العجيب الذي رأى المجوس بنو فارس كوكبه الذي قادهم وأتى بهم مع هداياهم فدخلوا وسجدوا له في المغارة وقدّموا له هداياهم لأنهم اعترفوا به ملكاً وربًّا والهاً للجميع (٥٠١).

فالنجم المنير الذي ظهر للمجوس أتى بهم مع هداياهم لتمجيده (يسوع المولود). فتحوا كنوزهم وقدّموها للملك العليّ الذي أشرق نجمه على الخليقة جمعاء (٥٠٥).

---

[١٩] نوع من التراتيل يتلى أحياناً في الفرض السرياني في صباح بعض الأعياد والآحاد.

الغاية من تأنس اللّه الكلمة

تُلخَّص هذه الغاية بما جاء في قانون الرسل: نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل... وبرب واحد يسوع المسيح ابن اللّه الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور... إله حقّ من إله حقّ، مولود غير مخلوق... الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس من مريم العذراء... تألم ومات وقبر وقام...

لا نذكر في هذا المقال من غايات التأنس إلاّ ما جاء في صلاة كنيستنا السريانيّة لهذا العيد المقدس عيد الميلاد.

١- أرسل اللّه ملاكاً الى الرعاة ونجماً الى المجوس يبشّرانهم بأنه قد وُلد لهم وللعالم مخلّص (٤٨١) ويرد مرات كثيرة أن ابن اللّه يسوع المسيح وُلد لخلاص البرايا، لأجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسّد لأجلنا، فان كانت ولادته من الآب ولادة روحيّة جوهريّة منذ الأزل فولادته الثانية من مريم سببها كان خلاص البرايا (٤٨٠) انه الولد المخلّص (٥٠٥) وصنع خلاصاً ونجاة للشعوب التي آمنت به (٥٠٢) وجاء بالسلام والأمان وزرعهما في المعمورة (٤٦٧) وأتى حبيب الآب بالرجاء الصالح الحيّ (٤٨٢). فالمجد للآب الذي خلّص العوالم بولادة ابنه (٥٠٧).

٢- جاء المسيح فكسر قيود الذنوب وحطّم سلاسل الخطايا. يقول مار افرام في مدراشه "هذا هو الشهر" داود أبوك لأجل حمل قتل ذئباً، وأنت يا ابن داود لقاتلٌ الذئب الخفي الذي قتل الحمَل الوديع الذي رعى وثغا في الفردوس" ويتابع مار افرام، ها هو في بيت لحم داود الملك لابس الديباج ورب داود وابن داود في داخل القمط طمر مجده ووهب قمطه حلّة مجدٍ لبني البشر" (٤٧٦).

في ملء الزمان أتى الكلمة وحيد الآب ووُلد إنساناً وفي يوم مولده محا صكّنا القديم الأسود وكتب لنا صكّاً جديداً ناصعاً (٤٧٧) وأعادنا الى مقامنا

القديم في كنيسة الأبكار السماوية (٤٨٤). إنه سيّد الجميع الذي بميلاده أنقذ الخليقة من ضلال الخطيئة (٤٨٦). وبتواضعه حرّرنا من اللعنة (٤٩١) اضجع بإرادته في مذود ولفّ بقمط فحلّ وكسر قيود وسلاسل وعُقَد الزلاّت والخطايا (٥٠١) انه حرّر البريّة في يوم مولده (٤٩١) فولول الشيطان وبكى لأن سلطانه قد أُبيد (٤٦٨)

٣– هدم المسيح بميلاده سياج العداوة (٥٠٥) فصالح أباه مع مخلوقاته (٤٦٨) ووفّق بين الملائكة والبشر (٤٧٣) وصالح العلى والعمق (السماء والأرض) وما فيهما (٤٧٥) فكان المخلص بخور رضى (٥٠٦).

٤– احتمل يسوع ما احتمل حبًّا بنا بعد أن نزل لأجلنا وصار إنساناً (٤٦٨) فأنقذنا من طغيان العدوّ (٤٧٣) وكان لنا النّور الإلهيّ في الظلام (٤٨٤ و ٤٧٥) وأنار الجالسين في الظلمة (٤٧١) والأقطار الأربعة الجالسة في الظلام (٤٦٨). وحرّر الإنسانيّة من الجهل (٤٩٢) وأنقذ العالم من الضلال (٤٦٩) ورأى هو الخالق أن الإنسان الذي جبلته يداه قد باد وضل طأطأ السماء ونزل الى الأرض، ووُلد من بتول وصار إنساناً صار واحداً منا وتأنسّ حقا (٤٩٩) وبتأنّسه انتشل الجنس البشريّ السائر الى الهلاك والفساد (٤٧٣) وأعاد الخروف الضال الى الحظيرة (٤٨١). وأهلّنا للمجد السماوي وحوّل الأرض سماءً (٤٧٣).

٥– خلق اللّه الانسان على صورته ومثاله غير أن هذا الانسان المخلوق على صورة اللّه زلّ وسقط بالمعصية وفسد كليًّا وخسر الحياة الإلهيّة فعاد ذلك الخالق الحكيم وجدّد صورته (٤٩٢ و ٤٩٩) فصار إنساناً ليخلّص تلك الصورة وبتأنّسه أعاد للإنسان جمال صورته (٤٨٥) وأعاد آدم الى مقامه الأوّل (٤٧٥).

٦– نزل ابن اللّه بإرادته وانحدر لخلاصنا وصار إنساناً واحتمل ما احتمل حبًّا بنا (٤٦٨) فأحيا ميتوتتنا وارجعنا الى وراثتنا (٤٩١).

فالشكر لك أيها الأصل المبارك الذي نبت في الأرض العطشى مريم فاستنشقه الأموات وبه حيوا (٥٠٦) وتباركت يا من فرّحت السماويّين والأرضيّين بمولدك (٤٦٥) وطوبى لكم يا بني آدم. قد نزل اللّه لأجلكم واتّخذ جسداً ولفّ بقمط مَن مِن بهائه يرتعب الكاروبيم (٥٠٦).

خاتمة

الميلاد أكبر نعمة وعطيّة من اللّه للبشريّة. فلذا تسبّح الآب جميع المخلوقات العلويّة والأرضيّة على إرساله ابنه الحبيب الوحيد حبًّا بالإنسان، وعلى مجيء ابن اللّه الكلمة أرضنا ليردّنا الى أبيه ويصالحنا وإيّاه، وعلى الروح القدس الذي بقوّته حبلت بالمسيح المخلّص مريم العذراء ومنها تجسّد.

يسبّحك، يا رب، الأنبياء الذين تحقّقت نبؤاتهم والملائكة والبشر والجنود السماويّة وما على الأرض، إنهم اختلطوا ليمجّدوا المولود المجيد من البتول القديسة في المغارة (٤٩٠ و ٤٦٥ و ٥٠٤).

وتسبّح الكنيسة وأولادها يوم ميلادك وبه تفرح السماء والأرض (٤٧٢ و٤٨٢) ويبتهج البحر وكل عشائر الأرض بعمانوئيل الذي صار منّا واختلط بنا كما تنبأ أشعيا (٤٧٢) ويهنئ البيعة مار افرام بمدراشه "طوباك يا افراتا" اللازمة: المجد لمرسله الذي ارسله لخلاصنا (٤٨٩-٤٩٠) ويقول: طوبى لك، أيتها البيعة ، فها إن أفراح العيد الكبير عيد الملك تصدح فيك: إن بني صهيون المطلّقة متلهّفون إلاّ أن أبوابها مغلقة لا أعياد فيها. أمّا أنت فطوبى لأبوابك المفتوحة التي لم تمتلئ، وساحاتك الواسعة التي لا تفي بالمرام. فداخلك تهتف الشعوب وترعد وتُسكت ذلك الشعب.

طوبى لك ايتها البيعة إن الملائكة لفرحون مع أولادك. إنهم سبّحوا في الليل الواحد، على الأرض التي صمتت وامتنعت عن التسبيح. طوبى لأناشيدك التي

زُرعت وحُصدت وجُمعت في الأهراء السماويّة. فمك كبخور وأناشيدك كعطور تفوح في أعيادك. طوبى لك أيتها البيعة. إليك تقرّب كل القرابين في هذا العيد. قد جاء المجوس مرّة واحدة وقدّموا للحق هداياهم. طوبى لك يا من تنازل وسكن فيك ابن الملك المسجود له ولذلك تقرَّب لك في عيدك ذهب المغرب وعطور المشرق.

طوبى لك يا أفراتا أمّ الملوك ألتي أشرق منك ربّ التيجان. بشّرك ميخا بأنه من الأزل ولا يحدّه زمان. طوبى لعينيك اللتين أبصرتاه قبل كلّ أحد، وهو أهّلك لأن تشاهديه لمّا ظهر هو رأس البركات ومبدأ الأفراح وإنك حملته قبل الجميع.

فهنيئاً لكم يا بني آدم لأن اللّه نزل من أجلكم وتجسّد وأدرج في القمط مَن مِن بهائه يرتعب الكاروبيم.

وتصلّي كنيستنا السريانية على اللحن الأول من التسبيح اليوناني (٤٩٩- ٥٠٠) قائلة: "قد وُلد المسيح فسبّحوا، قد جاء المسيح من السماء فاخرجوا للقائه. تعظّمَ المسيح على الأرض فمجّديه أيتها الأرض جمعاء واشكريه يا جميع الشعوب بفرح.. افرحي وتهلّلي يا بيت لحم واهتفوا ورنّموا يا مدبّري يهوذا. ان راعي اسرائيل الصالح والمتزيح على ظهور الملائكة وُلد اليوم برضاه من امرأة ورفع وعظم قرننا (قوتنا) هو القدوس ورب الجميع".

ونختم:

١" – بطلبة مار يعقوب الواردة في صباح عيد الميلاد (٥٠٧) في هذا اليوم يطرب آدم رئيس القبائل لأنه بواسطة ابنه اقتنى الألوهيّة كما اشتهى، وفي هذا اليوم تفرح حواء لأنه منها ظهر الطفل الذي أزال أوجاعها وألمها.

في هذا اليوم نبت الغصن ليكون عصاً للعالم الشيخ الذي حنى ظهره طولُ انغماسه في الوثنيّة، في هذا اليوم أورق غصن آل يسّى كي يسقي بخمره الأرض

العطشى والتعبة. في هذا اليوم يحضر ويمجّد ابنُ آموص ومعه ميخا وزمرة الانبياء، في هذا اليوم يرقص ايضاً أشعيا في قبره فلقد وُلد عمانوئيل كما تنبّأ هو نفسه. المجد للآب الذي خلص العوالم بولادة ابنه والسجود للابن الذي تجسّد ووُلد، الشكر للروح القدس الذي به تحقّقت كل الرموز. قوة واحدة لثلاثتهم: له المجد.

٣ – وبآخر بيت من طلبة مار يعقوب الواردة في ختام صلاة الثالثة من عيد الميلاد (٥١٠)

لك المجد من الصديّقين الذين أشاروا إلى أسرارك

لك الشكر من الأبرار الذين صوّروا رموزك (تشابيهك)

السجود العميق الوافر من جمعنا المبتهج بميلادك

يا ربّ الأسرار قد تكلمتُ عن أسرارك: أَحيني بمراحمك. آمين.

المجوس يقدمون للطفل يسوع هداياهم

ملحق ١ *

ܗܐ هـ: أراك في أبيك وفي مريم وعلى المركبة وفي المذود وفي كل مكان. فأنت في أبيك حقّاً. وفي مريم وعلى المركبة وفي المذود الحقير بدون ريب، وأنت في كل مكان لأنك الخالق. وفي الكل لأنك الجابل. أنت مولود من الآب ومولود من مريم وانت واحد فقط، أتيت وستأتي بالمجد. لك التسبيح.

ܘܝ ܠܗ و: ويل لمن أقدم على البحث عنك وانتقدك وتكلّف استقصاء غور ألوهيتك. ويل لمن لا يعترف بك. ويل لمن لا يحبّك. ويل لمن لم يؤمن بك. ويل لمن استنقصك (عن الآب). وطوبى لمن سَجّل مؤبداً أنك إلاه. طوبى من أبيك. وطوبى من حبّك وطوبى من روحك، لمن يحتفل محبوراً بعيد ميلادك. لك التسبيح.

ܙܡܢ ز: منك أيها الإله الوضيع ترتجف افواج الملاك ميخائيل المتوقّدة. فالكواريب الموثقة والحيوانات والعجلات الناطقة (حزقيال ١٠) ليست كفؤا لك يا ابن ألشاداي (الإله القوّي). وقد حصرك حضن مريم لأن تواضعك شاء ذلك. فأنت غير محدود وقد أصبحت محدوداً. أنت السرمديّ ولا حدّ لبحر مراحمك. لك التسبيح.

ܛܘܒܘ ط: بادر اليك الرعاة في حَمَل رضيع يا حمل اللّه الحيّ. فخرّوا أمامك سجّداً. يشكرون لك ويسبحونك ايها الربّ الراعي الحقّ. ثم انصرفوا منذهلين ممّا سمعوه من تسبيح الملائكة العلويّين وترنيمهم وهم ينشدون المجد للّه في الأعالي الرفيعة السلام على الأرض والرجاء الصالح لبني البشر. لك التسبيح.

* هذه هي الأبيات الأحد عشر المتممة للأبيات الأحد عشر المنشورة في الفنقيت (طالع ص ٢٠-٢٣ من مقالنا هذا).

ܟܢܫܐ ك: أيها الإله المالئ الكلّ قد حملك مستودع العذراء وحواك المذود ورفعك سمعان على ذراعيه. فغدوت محمولاً محدوداً ملموساً. ومتجسّداً وملموساً. يا جوهراً يجلّ عن كل حد. قد حصرك المذود الصغير. من ذا الذي يستطيع أن يدرك مستوعباً أزليّتك. شئت فأضحيت محدوداً أيها الربّ غير المحدود. أيها الابن المنزّه عن كل حدّ وقياس. لك التسبيح.

ܢܘܗܪܐ ن: أنت النورانيّ الروحانيّ وابن الآب الأزليّ أصبحت متجسداً ذا لحم وعظام. يا من كنت بلا جسد فتجسّدت. أنت غير المبرؤ حقاً قد أبدعت البرايا. شئت فأبدعتها ورُمتَ فتأنّست. يا أيها الجالس على العرش المجيد مع أبيه. لك التسبيح.

ܣܓܕܐ س: لألوهيتك يقدّس السواريف ويبارك الكواريب ويسبّح الملائكة. وهم يحفّون المذود بأجنحتهم. والتهيّب والارتعاد مستوليان على يوسف ومريم الحاضرين لسماعهما حفيف أجنحة السواريف ودويّ أهازيجهم المهيب. ليت شعري من هو كفؤ لك. أو من يستطيع أن يحدّك أو يتخذك موضوع جدال. ومن يجرؤ أن ينتقد سرّ ولادتك. لك التسبيح.

ܦܪܘܩܐ ف: تبتهج أمّك ويبتهج يوسف وتبتهج أنت كذلك يا حمل فصحنا. فتبتهج مريم لأنها ولدتك وتعانقك يا شبل الأسد الذي هلع من صوتك هيرودس الثعلب الملك الدخيل. فقد انقرضت مملكته اذ ثبتت مملكتك التي كانت ثابتة. لأنك الملك بل ملك الملوك. فلك التسبيح.

ܨܠܡܐ ص: أنت الذي كوّنت آدم من التراب وبرأت أمّك وصوّرت ناسوتك في ذهنك. فكيانك الأزليّ جوهريّ. وكما أنّ أباك هو أبوك منذ الأزل فكذلك أنت أزليّ. لأن الآب ليس أباً لذاته (بل هو أب بالنسبة اليك). وباختيارك صرت إنساناً. وبولادتك من الآب لم تكن انت الذي كوّنت ذاتك اذ ليس لك بداءَة. أمّا ميلادك من مريم فأنت الذي أنشأته لأنك شئت. لك التسبيح.

ܩܠܐ ق: جلست مريم وولدتك فأصبحت أمّك وهي أختك وعروسك وأمتك معاً. تعانقك وتحتضنك وتقبّلك وتسبّحك وتصلّي وتشكرك. تحملك بيدها وترضعك. تناغيك وهي تبش لقدّك الطفليّ. فتهشّ انت وترتشف الحليب. لقد حارت فيك مريم والدتك. وحارت مريم مرضعك. وحارت مريم خليقتك. فيا أيها الإبن هدّئ اضطراب أمّك. لك التسبيح.

ܬܘܕܝܬܐ ت: شكراً لك يا ابن اللّه يا من أهّلتني أن أنشد التسابيح لولادتك. أرجوك أن تغفر لي وتعفو عن نقائصي. لأحمدك وأسبّحك. فلقد رنّمت لك ترنيماً أنت ألقيته اليّ. ألا أغفر ذنوبنا في يوم ميلادك. وضمّد كلومنا بعطفك. واجعل يا رب أمنك سائداً ما بين شعبك وفي بيعتك. فنؤدي لك الحمد في يوم عيدك أيها الابن المجيد. لك التسبيح.

ملحق ٢

مار يوسف زوج والدة الإله مريم

في الفرض السرياني لليوم ١٩ آذار

لدينا نحن السريان عيد واحد لمار يوسف يقع في الأحد السابع من الآحاد الثمانية السابقة لعيد المخلّص ويُدعى الجليان (الظهور ليوسف)[٢٠] وانه يذكّرنا بأن اللّه قد دعا يوسف بواسطة الملاك "ليأخذ مريم زوجته الحامل للذي حُبل به من الروح القدس" (متى ١: ٢٠).

"لكنّ أجدادنا، يقول السعيد الذكر البطريرك افرام رحماني، ضمّوا الى الأعياد القديمة أعياداً مقتبسة من البيعة الرومانية المقدسة". من تلك الأعياد: ١- خميس الجسد ٢- جميع القديسين (١ تشرين الثاني) ٣- الحبل بسيدتنا البريء من الدنس (٨ كانون الأول) ٤- مار يوسف خطيب سيدتنا (١٩ آذار)[٢١]. وكان عيد مار يوسف ما بين أعياد البطالة الثلاثة والعشرين[٢٢].

والمجمع الفاتيكاني الثاني قرّر في الدستور العقائدي "في الكنيسة" رقم ٥٠ أن يُضاف ذكر مار يوسف في النافور الرومانيّ في الصلاة التي تتضمّن الكلام الجوهريّ، أما طائفتنا فلم يحبّذ أحبارها إضافة اسم مار يوسف في النافور السريانيّ.

---

[٢٠] تجد الصلاة الفرضية لهذا الأحد في الفنقيت الجزء الأول المطبوع بالموصل في مطبعة الآباء الدومينكان سنة ١٨٨٦ (ص ٢١٧-٢٣٧).

[٢١] مجمع السريان المعقود في دير الشرفة لبنان سنة ١٨٨٨ نشره بالطبع البطريرك افرام رحماني بالمطبعة البطريركية السريانية في دير الشرفة سنة ١٩٢٢ ص ٧٦.

[٢٢] المجمع عينه ص ٧٦ - ٧٨. على أثر انعقاد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عقد أحبار طائفتنا سينودساً حدّدوا فيه أعياد البطالة الواجب حفظها وهي: رأس السنة وعيد الدنح (الغطاس) وعيد الصعود وعيد انتقال العذراء الى السماء وعيد الصليب وعيد الميلاد.

المقال هذا هو أهمّ ما جاء في الصلاة الفرضيّة في اليوم التاسع عشر من شهر آذار عن "يوسف زوج والدة اللّه مريم"[٢٣]

مقام مار يوسف

منح اللّه يوسفَ مقاماً سامياً ما بين الأبرار، وزيّنه الروح بكل عطاياه، فليفرح إذاً يوسف لأنه به تحقّق رجاء أبيه داود الذي اشتاق أن يرى المخلّص الذي سينزل كالمطر على الجزاز، ورسم صورته وهو على عرش ملكه، ورجا أن يراه فلم يره. جعل الرب لنا يوسف عجباً وشفيعاً وفخراً - لم يقم أحد قطّ مثل يوسف البار بطهارته وتواضعه وصبره وجَلَده. فمن يستطيع أن يحصي مواهبك أيها الرجل العجيب، يا فخر الكنيسة، إنك تفوق الأبرار والصدّيقين بمقامك وحياتك. فلذا كل الألسنة وجميع الأمم تجهر بمديحك، فطوبى لك، يا يوسف، لم يقم بين الرجال من يشابهك، لقد أصبحت زوجاً لملكة السماء والأرض التي ولدت اللّه.

اختيار يوسف حارساً للعائلة المقدسة

لقد اختار اللّه مريم أمّاً لابنه وقرّر أن يعطيها رجلاً صالحاً صدّيقاً وبتولاً يحافظ على بتوليّتها، فكان زوجاً شرعيّاً لمريم ومربّياً وحارساً لابن اللّه الحبيب على الأرض. تسلّم يوسف من الخالق ابنه الذي ولدته مريم والذي ارسله الآب ليخلّص البرايا، تسلّمه ليحرسه ويربيّه ويعتني بمعيشته فكان له كابنٍ ودُعي هو أباه، وأدّى له ولأمه الخدمة منذ ولادته فكان يسوع الطفل الجميل مضجعاً أمام عينيه - ويا ليتنا نرى جماله كما رآه يوسف فنكرْه جمال الخلائق - وهو الذي استقبل الرعاة وتسلّم هداياهم، وسلّمهم الطفل المبارك فكرموه بقبلاتهم وسجودهم، وهو الذي استقبل أيضاً المجوس الذين أُهّلوا ليروا في بيته (المغارة

[٢٣] الفنقيت المجلد الثالث المطبوع سنة ١٨٩١ في الموصل بمطبعة الآباء الدومنيكان ص ٨٣٦-٨٥٨.

الحقيرة) ابن اللّه وقدّموا له بواسطته هداياهم وسجدوا للملك الذي دَعوا يوسف أباه. فسما يوسف على الرجال إذ صار أباً لربّنا يسوع المعلّم للأجيال، فأطاعه مَن هو خالق السماء والأرض ابن العليّ الجبّار قائت العوالم وأكلا وناما في بيت واحد وعملا في حانوت واحد. يا لسعادته! قد اختاره اللّه زوجاً لمريم التي لا مثيل لها في السماء وعلى الأرض، وسكنت معه في بيته الحقير تلك الممجّدة التي هي أرفع كثيراً من الملائكة ساكني السماء. أراد اللّه أن لا يقترب منها يوسف بل أراده حارساً لبتوليّتها. فعاش مع تلك الحمامة النقيّة البتول بطهر وقداسة، وأراح هذه عروس الروح القدس وحافظ على جمالها، وأخلص لها الخدمة، وكان يجد تعزيته بمريم التي فاقت الجميع بحسنها وقداستها، عشرتها حلوة ورفقتها عذبة وطاهرة، واستحقّ أن يكون أهلاً لهذه الحمامة الوديعة اللذيذة. فطوباك يا يوسف يا من دُعيت أباً ليسوع مخلّص العالم، أطاعك من يدبّر الكل بإشارته، طوباك لأن الشمس العظيمة أشرقت في بيتك وأدهشت الملائكة وتهلّلتَ أنت بنوره الإلهيّ وامتلأ عقلك من جماله الساطع، طوباك لأنه قد تربّى في حضنك الربّ الذي صغر، وسكن في حضنك الساكن في حضن ابيه. طوباك للأسماء التي توشّح بها فدعي ابن داود وابن يوسف من هو ابن الآب الذي اتحد بالمائتين ليجعلهم من أنسبائه. طوباك لأنك حملت الفادي على ذراعيك وقبّلت بشفتيك ما بين عينيه وناغيته واحتضنته وضممته الى صدرك وأطعمته وسقيته ولأنك نجّار دُعي ابن النجّار.

الاكتتاب في بيت لحم

لأن سلالة الملوك تُكتب باسم الرجال لا باسم النساء، خطب يوسف بنت داود لأنه لا يمكن لصبيّ أن يُكتب باسم أمّه[٢٤]. فكُتب هو (يسوع المسيح)

[٢٤] طالع الأب يوحنا يشوع الخوري م ل في "ميلاد المسيح في اليوبيل الألفين" ص ١٤٤ - ١٤٥. النص يختلف قليلا بالترجمة. وفي الفنقيت المجلد الثالث ص ٨٤٥ بعد كلمتي :باسم أمّه" أُهمل ما جاء في الكتاب

باسم يوسف رجلها ومن كليهما رُبط جنسنا اذ وُلد من بنت داود وكُتب بين ملوك ابن داود. لم يكن لائقاً أن يولد من زرع يوسف ولا أن يولد دون أن ينتمي الى يوسف. ولدته مريم ولم يُكتب باسمها ويوسف الذي كُتب باسمه لم يكن من زرعه. لم يتخذ اسمه عن جسد يوسف ولا من زوج مريم أشرق ابنها، فابنها كان ربّ داود وابن داود[٢٤] فيا مريم خطيبة يوسف أعيننا على أن نتعرّف فضائل البارّ خطيبك، انك لعارفة تمام المعرفة سيرته وأعماله، وكنت له المرآة والمثال وكمّلت بنقاوتك نقاوة بتوليته.

فضائل مار يوسف

١- عفيف هو يوسف وقدوة للبتولين والبتولات: فكما أن مريم هي مجد وفخر واكليل للبتولات هكذا يوسف هو مثال للأزواج الأنقياء والأطهار، وكلاهما شربا الحياة من ينبوع واحد، هي أمّه حقاً وهو أبوه شرعاً، هي أساس الكنيسة وهو دعامتها الأولى. وتوجّه افرام في احد مداريشه الى اللّه قائلا له: "علمني انت يا رب كيف ولماذا حسن لديك ان تظهر من بطن بتول، ولماذا على غرار آدم جُبل لك جسد من أرض لم تُفلح، ترى لماذا اضطُرت البتول أن تخطب يوسف ابن داود وبعدئذ وُلدتَ منها بدون رجل".

٢- محبّ للّه ومتواضع: عظيم تواضعه على قدر عظم مقامه ولا شيء يشبه حبَّه ليسوع.

٣- مؤمن وحكيم وفطن: ظهر ايمانه وحكمته وفطنته لّما عرف بحبل مريم وكان يجهل من أين حبلها، دُهش ولأنه بارّ أراد أن يطلّقها سرّاً الى ان ظهر له ميخائيل رئيس الملائكة وطمأنه وأكدّ له أنّ حبل مريم هو بقوّة الروح القدس وستلد المخلّص المرتجى.

المذكور أي (صار اذاً ولداً ليوسف من دون زرع وولداً لأمّه من دون رجل ومن كليهما رَبَطَ أصلهما اذ بين الملوك اكتَتَب ابنُ داود).

٤- متكل على اللّه: قاسى لأجل يسوع أعمالاً شاقة ومضايق شديدة، تألّم في ختانة يسوع المؤلمة، وسمع سمعان وحنّة وما فاها به عن الطفل وأمّه وكيف سيف الألم سيجوز في قلب مريم، عذاباتٍ قاسى عند هربه الى مصر الأرض الغريبة وعند عودته منها؛ وبتلهفّ بحثا عنه هو ومريم الى أن وجداه بعد ثلاثة أيام في الهيكل، وقد احتمل تلك المشقات لأجل الابن وحبّاً باللّه.

٥- رجل تأمّل وصمت: يتأمّل كل آن بيسوع الذي أضحى له ابناً، وقلبه يضطرم بحبّه كان فرحاً لعيشه معه تحت سقف واحد وكأنه في نعيم.

٦- ذو ثقة باللّه: كان شعوره محبوساً على اللّه وسمعه وحسّه وشمّه وكلامه، وبكلمة قد ارضى يوسفُ اللّه بجميع أعماله، عميق التواضع طاهر القلب صافي الجسد.

٧- نزاعه وموته: تشجعنا الكنيسة على أن نُودع ذواتنا القديس يوسف شفيع الميتة الصالحة. استاهل يوسف أن يكون موته سعيداً هنيئاً، وتعزّى تعزية كبرى في ساعة وفاته، لأنّه سلّم نفسه الطاهرة القديسة بين يدي يسوع ومريم اللذين أغمضا عينيه ورافقا جسده الى القبر بتهيّب، الأمر الذي لم ينله أحد من بني البشر، خرجت نفسه من هذا العالم لتنال من يد الآب الذي أودَعَه ابنه اكليل المجد مكافأة لأعماله وأتعابه وإيمانه وفضائله.. فيا يوسف البار نسألك أن تتضرّع الى يسوع ومريم اللذين أغمضا عينيك كي يرافقانا وانت معهما ساعة موتنا ساعةِ خروجنا من هذا العالم.

يوسف بن يعقوب وراحيل هو رمز ليوسف خطيب مريم

يدهشني كثيراً، نصلي في الفنقيت ص ٨٥٥ - ٨٥٦ صباح عيد مار يوسف، يدهشني كثيراً جمال يوسف بن داود، يمدحه العهد الجديد المكتوب بوحي الروح القدس، وفي العهد القديم رمز إليه الصدّيق يوسف ابن راحيل، يوسف هذا انتصر بنقاوته على زوجة سيّده ويوسف البارّ كان الحارس لبتوليّة

والدة سيّده. يوسف الأول باعه إخوته حسداً منهم فرسم بذلك صورة لربنا يسوع الذي باعه تلميذه؛ يوسف الأول أحدروه الى مصر أسيراً لحسد من إخوته أمّا يوسف الجديد فهرب من حسد الملك هيرودس الى مصر مع يسوع وامّه وهكذا نجا من غضب الملك؛ يوسف الأول أخزى بطهارته وإيمانه تلك المرأة وزجر عهارتها فألُقي في السجن لاغتياب تلك الشبيهة بإيزابيل[٢٥] أمّا يوسف خطيب مريم فمجّد وعظّم بطهارته أمّ ربّه ونشر عرف بتوليّتها فاستحقّ أن يكون رفيقاً لها. لمّا كان يوسف ابن راحيل في السجن كان الربّ معه ورئف به فسلّمه رئيس السجن جميع السجناء وصوّر بذلك يوسف بن داود الذي كان اللّه معه وسلّمه بني بيته وكان عنده ربَّ بيته وكان يعيله.

يوسف بن داود الذي عظُم في مصر وأشبع المصريّين، قال له فرعون: كن وكيلاً على بيتي. ويوسف (خطيب مريم) قال الربّ له: كن وكيلاً على بيتي، ويقول لجميعنا نحن المحتاجين أو متى أصاب روحَنا جوع: إذهبوا الى يوسف يفتح لكم الأهراء لأني جعلته وكيلاً على بيتي ليوزّع النعم والخيرات. فسدّد يوسف للألوف والربوات، احتياجات نفوسهم.

إن يوسف البارّ ابن داود خزن خبز الحياة وحفظه ليكون قوتاً للعالم بأسره.

دعـاء

فيا يوسف انت الذي اعتاد المسيح أن يسمع اليك ويستجيبك، صلِّ لأجلنا وأعطنا أن نحبّ المسيح مثلما أحببته أنت، ونخدمه في حياتنا كما خدمته أنت، بإيمان وحبّ وثبات ونراه ساعة موتنا وان تكون نفسنا ذبيحة له.

---

[٢٥] هي زوجة الملك آحاب التي على أمرٍ منها شهد شاهدا زور على نابوت اليزرا عيليّ (الذي رفض بيع كرمٍ ورثه للملك آحاب) بانه جدّف على اللّه وعلى الملك فأخرجوه خارج المدينة ورجموه بالحجارة فمات (طالع ١ ملوك ٢١).

وأنت يا ربّ، يا من اخترت يوسف مربّيا لابنك المتأنس اجعلنا مختارين للوليمة السماوية، ويا من أهلّت يوسف البارّ ليكون زوجاً لوالدتك أهلّنا لأن نراها في نعيمك، ويا من قدّست يوسف وجعلته مرآة لنقاوة النفس والجسد ويا من زيّنت خطيب مريم بجمال الفضائل ليكون أهلاً لحفظ بتوليّتها صلِّ لأجلنا لنكرّمها نحن مثلما كرّمتها أنت، ونحن أيضاً نكرّمك كما كرّمتك أمّ يسوع وأمّنا.

تمجّدك الكنيسة دائماً لأنك ربّيت لها عريسها المحبوب، إنك أنت شفيعها وانت فخرها وأنت بهجتها، وبك تنال من الربّ الرأفة بجميع أبنائها.

فالمجد للآب الذي اختارك يا يوسف وللابن الذي أطاعك وأحبّك وللروح القدس الذي قدّسك آمين.

مار يوسف البتول النجار (روبير كمبان)

عيد الأنوار أي ظهور ربّنا[٢٦]

عيد ظهور ربّنا (بالسريانية ܕܢܚܐ وباليونانية Epiphania) هو عيد اعتماد ربّنا يسوع المسيح في نهر الأردن، وفيه ظهر لإسرائيل وللناس إذ شهد الآب له من السماء قائلاً: هذا هو ابني الحبيب والروح القدس حلّ عليه بصورة حمامة[٢٧]. ثم شمل ذلك العيد أيضاً ذكر ظهور ربّنا للعالم بالتجسّد أي بميلاده وظهوره للمجوس[٢٨]. وعلى هذا كانت الكنيسة الأنطاكية تعيّد في يوم واحد، هو السادس من كانون الثاني، لميلاد ربّنا بالجسد ولسجود المجوس له ولاعتماده في نهر الأردن[٢٩] أما في المغرب فكان يحتفى بعيد الميلاد في ٢٥ كانون الأول وانتقل عنه الى كنيسة أنطاكية في نحوسنة ٣٧٦ كما شهد مار يوحنا الذهبي الفم في إحدى خطبه التي ألقاها في كنيسة أنطاكية الكبرى. وعيد الدنح (وفيه عيد ميلاد الربّ بالجسد) سميّ أيضاً لدى السريان بعيد الأنوار[٣٠] إذ ظهر لنا فيه من حشا البتول النور الإلهيّ الأكثر لمعاناً من الشمس (٢٦٠)[٣١]. إنه النور المشعّ العظيم الذي ظهر في نهر الأردن وهزم ظلام الضلال ومنحنا سلاحاً من مياه

---

[٢٦] هذا هو العنوان لصلاة فرض عيد الدنح (الظهور) الذي جاء في بدء صلاة المساء (الفنقيت ٢ ص ٢٤٩). يعذرنا القارئ إن أعدنا هنا القليل ممّا ذكرنا في أوائل مقالنا عن عيد ميلاد الرب يسوع (ص ٣-٤)

[٢٧] أقدم إشارة إلى عيد الدنح وردت في كتاب اقليميس الأسكندري الأوّل (+ قبل سنة ٢١٥) في تأليفه Stromates (البطريرك افرام رحماني في المباحث الجليّة في الليترجيات الشرقية والغربيّة ص ١٣٦ حاشية ١)

[٢٨] وبظهورك يا ربّ أرسلت فارس المجوس وأتوا لك بالهدايا ذهب ومرّ ولبان ودخلوا وسجدوا لك وقدّموا لك هداياهم (الفنقيت عينه ص ٢٨٧).

[٢٩] رحماني المرجع عينه ص ١٣٥-١٣٧. Migne الآباء اليونان مجلد ٤٩ عمود ٣٥١.

[٣٠] ذكر الانجيل المسمّى دياتسرون على ما روى الأقدمون أن نهر الأردن سطع أنواراً عندما انحدر في مياهه الربّ يسوع واعتمد (رحماني، المرجع عينه ص ١٣٥ حاشية ١). وطالع ص ٤٩ رقم ١٠ من هذا المقال.

[٣١] وضعنا بين هلالين رقم الصفحة للنصوص المأخوذة عن الفنقيت مجلد ٢.

المعمودية (٢٥٧). في هذا العيد رأس الأعياد (٢٧٠) العيد المقدّس والإلهيّ عيد الأنوار (٢٨٨) أشرق نورك بظهورك يا ربّ البرايا وأنارها (٢٨٧).

الصلاة الفرضية لعيد الدنح

جاءت تلك الصلاة في الفنقيت المجلد الثاني من ص ٢٤٦ - ٢٩٢.

فصلاة المساء من ص ٢٤٦ - ٢٥٦ وصلاة الليل من ص ٢٥٦ - ٢٧٩

وصلاة الصباح من ص ٢٧٩ - ٢٩٠ وصلاة الساعة الثالثة من ص ٢٩٠ - ٢٩٢.

ولعيد الدنح ثلاث قومات في صلاة الليل ما عدا القومة الرابعة المكرّسة للأموات، وفي بدء كلّ من القومات الثلاث مزموران:

للقومة الأولى	المزموران ٢٩ و ٤٧
وللقومة الثانية	المزموران ٦٥ و ٦٦
وللقومة الثالثة	المزموران ٧١ و ٧٢

في هذه المزامير نجد ذكراً للمياه أو لملوك شبأ وسبأ والهدايا التي يقدِّمون أو نجد دعوة للجماعة لتحمد اللّه او لتصفّق وتهتف تمجيداً له.

وفي ختام صلاة المساء والصباح يُقرأ الانجيل: إنجيل المساء لعيد العماد وهو مأخوذ من مرقس (١:١ -١١) وانجيل الصباح من متى (٣:١ - ١٧). وفي كنيستنا السريانية يسبق قراءة الانجيل هلاّل أي ترتيلة تتألف من آية أو أكثر من المزامير. سميت الترتيلة هلاّلاً لأنها تكرّر في أوّلها لفظة هللويه ثلاث مرات وتختم بلفظة هللويا[٣٢]). وهلال إنجيل صلاة مساء عيد الدنح هو: "أبصَرتْك المياه يا اللّه، أبصرتك المياه ففزعت" (مز ٧٧: ١٦) وهلال صلاة الصباح هو: " لأن ينبوع الحياة عندك وبنورك نعاين النور" (مز ٣٦: ١٠)

[٣٢] رحماني، المرجع عينه ص ٢١٨

وخبر عماد يسوع ورد في الأناجيل الأربعة، في متى (٣: ١٣-١٧) ومرقس (١: ٩-١١) ولوقا (٣: ٢١-٢٢) ويوحنا (١: ٣١-٣٤). هكذا يخبر متى الرسول عن اعتماد يسوع: "في ذلك الوقت ظهر يسوع وقد أتى من الجليل الى الأردن، قاصداً يوحنا ليعتمد عن يده. فجعل يوحنا يمانعه فيقول: "أنا أحتاج الى الاعتماد عن يدك، أوأنت تأتي إليّ؟" فأجابه يسوع: "دعني الآن وما أريد، فهكذا يحسن بنا أن نتمّ كل برّ". فتركه وما أراد. واعتمد يسوع وخرج لوقته من الماء، فإذا السماوات قد انفتحت فرأى روح اللّه يهبط كأنّه حمامة وينزل عليه. وإذا صوت من السماوات يقول: "هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت".

المعمِّد والمعمَّد

المعمِّد هو يوحنّا بن زكريّا واليشباع العاقرة، الذي لم يقم بين مواليد النساء مثله. عذب هو صوته قائلاً للمسيح: إني أخاف يا ربّ أن أدنو منك لأني أنا عبدك (٢٩١). ولما رأى حمل اللّه آتياً ليعتمد منه قال: انت المسيح اللّه انت خالق العوالم فكيف تعتمد منّي أنا التراب والهباء المجد للآب الذي أرسلك وانت لم تغادره (٢٥٤).

١- أما المعمَّد فهو الحيّ الذي يبيِّض الجميع بزوفاه، فلماذا اذاً أحصيت بالعماد مع الخطأة أنت من يرسل الروح القدس الى الأحبار وينقّي القذرين ويغفر لجميع التائبين (٢٧٢) من مدراش لمار افرام اللازمة فيه: تبارك من اعتمد وغفر للعالم في نهر الأردن وطهّرنا وقدّسنا بالماء والروح والنار.

٢- إنه الضابط بسلطانه القوّات العلويّة (٢٤٩) ويقوم عرياناً في نهر الأردن هو الذي تقف أمامه بخوف ورعدة الجموع السماويّة لأنها رأت الربّ المخلّص إله آبائنا قائماً عرياناً (٢٤٩-٢٥٠). إنه ربّ الأنهار والبحار، كلمة الآب وزارع العوالم، قائم كرجل بسيط في نهر الأردن ليعمّده يوحنا (٢٥٠)

٣- إنه سيّد العلى والعمق، جاء وصار إنساناً واعتمد من يدي عبده، فيا لتواضعه (٢٥٤)

٤- هو اللّه إله الجميع بشهادة الروح القدس، وهو فوق وتحت وغير محدود (٢٥٧) قال مار افرام في مدراشه المذكور ان يوحنا نصح البيعة العروس المستنيرة وعلّمها أن الذي يعمّده هو الحبر والذبيحة والحمل والقربان الجميل والكاهن والحامل خطيئة العالم... تبارك من اعتمد وغفر للعالم (٢٧٢-٢٧٣)

٥- هو ربّ الجميع المانح القوّة والعزّة لملوكنا ورافع شأن مسيحيّيه الذي وُلد من البتول الطاهرة وأتى ليعتمد، فلذا نهتف نحن المؤمنين قائلين: لا قدّوس آخر مثل إلهنا (٢٨٠)

٦- هو الكلمة الأزليّ المتساوي في الطبيعة (للآب والروح القدس) (٢٨٠) الذي لا يدنى منه. ينبوع الصلاح الذي أنار الجموع عند اعتماده (٢٨٥) وسألت الكنيسة يوحنا: "مَن هذا الذي تعمده، فإن النهر جائش والجماهير خائفة والسماء مفتوحة ومبتهجة، وسُمع الآن صوت من العلى والروح يطير بشبه حمامة؟ أجابها هذا هو العريس وحيد اللّه الذي خطبتكِ له فهلمّي انطرحي واسجدي له" (٢٩١).

٧- وهو حمل اللّه: لمّا كان يوحنا رسول السلام يعمّد كان يقول للجماهير: إنه سيأتي بعدي حملُ اللّه الحيُّ والقدرة الخفيّة حاملة البرايا (٢٩٥) مبشّران اثنان في العلى والعمق كرزا عن الابن يسوع: النجم هتف من العلى ويوحنا من على الأرض. هذا هو حمل اللّه وابنه الحيّ الذي عنه تنبّأ الأنبياء بالروح (٢٧٠-٢٧١) ولما رأت الكنيسة المسيح آتياً ليعتمد في الأردن آمنت به أنه هو حمل اللّه الحامل خطيئة العالم (٢٨٤).

٨- إنه هو الزارع الذي جاء يستأصل الزؤان ويجمع الحنطة الى هري الأفراح (٢٥٩) انه هو الحامل خطيئة العالم ومخلّصه (٢٥٠).

٩- هو قوّة اللّه وحكمته: حينما شعر موسى الذي أهّلتَه لرؤياك المدهشة بأنك تتحدّث معه من العوسجة، ارتعد وأدار ظهره كيلا يراك، وأنا يا ربّ كيف أجرؤ وأنظر اليك أو أضع يديّ فوق رأسك. أنت أنت المسيح قوّة اللّه وحكمته (٢٨١).

١٠- هو النور: تمجّد اليوم السنونو بتغاريد عذبة: قد أشرق المسيح (٢٧٣) وتمّت نبؤة زكريا: ها قد أشرق النور في النهر (٢٦٩) والنور الذي أشرق من الآب في حضن الفتاة العذراء سطع على النهر حين اعتمد (٢٥٢) فأسرعت اليه البيعة مشتاقة واحتقرت الأصنام، أصنام عشيرتها. قد سباها حبّه وآمنت به أنه ابن اللّه، المجد له قد أنار الأرض بأشعّته وردّ الشعوب الضالّة وعلّمها سرّ الثالوث (٢٥٢-٢٥٣) قد أشرق نور ربّنا في المياه وقضي على الظلام بأعجوبة فانزلوا أيها الموسومون وتعمّدوا بالنور (٢٧٣).

١١- وهو نار. لما دنا ربّنا يسوع من يوحنا وقال له: ادنُ وعمدني. أجابه أخاف أنا يا ربّ، لأنك أنت نار وانا مجبول من تراب فلا أستطيع مسّ اللهب إني لا أجرؤ على أن أضع يدي على اللهبة فان دنوت فيحرقني وهجها (٢٩١) فالحّ المسيح على يوحنا ليعمّده فأجابه أنا لا أعمّد النار بالماء لأني سأحترق فقال له الرب كما أن مريم لم تحترق حين حملتني هكذا ولا أنت تحترق مني (٢٧٠). قال له: هلّم وضع يدك فقط فوق رأسي فسمع صوتاً من العلى ورأى الروح يرفرف (٢٦٠). كان النهر يشتعل بالنار التي فيه، لأن ابن اللّه نزل وحلّ في غمر الماء فقدّس كل الأنهار والينابيع. عميق ما جاء في هذا الصدد في طلبة مار يعقوب (٢٨٩) أتى القدّوس وبلغ النهر لينزل ويعتمد فتأججت ناره ما بين الأمواج وأضرمتها، فامتزجت المياه البسيطة بالأضواء المقدسة حين صدر من القدّوس شعاع وأشعلها. الجمرة النارية نزلت لتسبح ما بين الغمر فانصبّ هنالك التهابها المقدس، جاءت الكهنة خلعت أثوابها التي كانت تلبسها ونزلت لتلقي النار بمياه المعمودية.

اندهش العلويّون من تلك اللهبة التي تغتسل إذ انه عندما كان جسمها البهيّ يغتسل قدّس المياه وسطا على البرايا تعجّب عظيم وتحيّرت لما نزلت اللهبة لتعتمد من يوحنا.

يا مطهّر كل دنس ويا غافراً للخطايا قد جئتَ لتعتمد مثل رجل خاطئ ان كل من تحرّر من الدنس باغتسالك يرفع التسبيح لك يا رب ولأبيك وللروح القدس ويرى افرام في مدراشه (ذي اللازمة: المجد لك يا ربّ السماء يا من أقمت لك إخوة ترابيّين) بنار المقدس التي طمرها فأخفاها كهنة السبي في البئر رمزاً للنار الممجَّدة التي مزجها رئيس الكهنة بالعماد (بماء العماد). حمل الأحبار الطين ورشّوا به المذبح لأن نار تلك البئر كانت ممزوجة بالطين، وهذا، يا اخوتي، رمز لجسدنا الذي امتزج في الماء بنار روح القدس" (٢٧٧) ويضيف مار افرام نفسه: قال المسيح جئت لألقي ناراً ولي معموديّة أصطبغ بها، وبناره خمدت النار التي أشعلها الشرّير. وماؤه غلبت مياه الخصام التي بها جُرِّب يوسف ذلك الذي اشتهر وكُلّل وتوّج (٢٧٧).

١٢- وهو أيضاً كخاطئ ذهب الى يوحنا ليعتمد. يقول مار افرام في مدراشه (تبارك من اعتمد): يوحنا عمّد الخطأة في البرّية وكرز ليتوبوا ويرتدوا الى الملكوت. أما أنت أيها الحيّ يا من تبيّض الجميع بزوفاك، لماذا أحصيت في العماد مع الخطأة. أنت الذي ترسل الروح القدس للأحبار وتنقّي القذرين وتمنح الغفران لجميع التائبين (٢٧٢) ويضيف قائلاً: أحبّ الآب والروح القدس الابن الذي انحدر وتجسّد واتّشح بالتواضع، وقد أظهر ميلاده وعماده عِظَم تواضعه في المذود والأردن. انه لواحد لا ينقسم، قد كفّر عن خطيئتنا، وبالماء الذي قدّسه عمّدنا. تبارك من تعمّد وبرّر العالم (٢٧٢-٢٧٣)

بعماد المسيح تمّت نبوّات الانبياء

١- اليوم تحقّقت نبؤة زكريا، ها قد أشرق النور على النهر (٢٦٩)

٢- واليوم تمّ ما قال داود: غمرٌ ينادي غمراً (مز ٤٢: ٨) لكي تتبارك المياه التي تعمّد فيها المخلّص (٢٦٩) والى هذا اليوم تاق داود حين قال: إني أبيضّ كالثلج بزوفاك الذي ينقّي الجميع (مز ٥١: ٩). ويقوم داود بالروح ويقول للمعتمدين: تقدّموا من الربّ الإله واستنيروا والبسوا القوّة. دعاه بحسرة آدم هذا المسكين الساقط واستجابه الربّ الإله حين أتى الى مياه نهر الأردن فجدّد ثانية ذلك الذي فسد سابقاً (٢٨٤)

٣- رأى حزقيال في بابل معين الحياة أي المعمودية ووصف لنا برؤياه جمالها (٢٧٣)

٤- يقول مار افرام في مدراشه (المجد لك يا رب السماء الذي صيّرت لك إخوة أرضيين) إن اللّه نزل وانحدر الى مغارة بحوريب وأحلّ عظمته على موسى. مزج بهاءَه المجيد بالمائتين فكان ذلك رمزاً للمعموديّة؛ فلقد نزل وحلّ فيها وسكب على الماء عظمته الغزيرة كي يحلّ على الأذلاّء: على موسى حلّ وهج لهيبه وعليكم حلّ (ايها المعمّدون) كمال المسيح (٢٧٦).

٥- باعتماد المسيح تمّ قول أشعيا النبي: استحمّوا جميعكم وصيروا أنقياء واقضوا على شرور اعمالكم وأزيلوها من قدّام عيني الرب. يا ايها العطاش اذهبوا الى الماء الحيّ وأرووا عطشكم. إن المسيح رش ماءً حيًّا على الماضين اليه بإيمان وقدّس لنا المعمودية التي بها تُغفر آثامنا وخطايانا (٢٨٤).

تقديس الماء وتردد يوحنا في تعميد المسيح

سمعتُ صوت يوحنا يقول: أيها الأردن نقِّ نفسك واغسل قذارتك لأن ربَّ الأرض والسماء جاء ليعتمد (٢٧١) ولقد تقدّست المعموديّة في الأردن بظهورك يا ربّ. تقدّست المياه وجميع الأنهار والينابيع (٢٨٧). إن يوحنا صبَّ

ماء المعموديّة فقدّسها المسيح وانحدر واعتمد بها، وحين صعد منها أدّت له السماء والأرض التكريم. فالشمس والقمر سجدا له والكواكب سبّحت مَن قدّس كلّ الأنهار والينابيع في يوم اعتماده (٢٥٩).

إن عماد يوحنا ما كان إلاّ دعوة للتوبة، توبوا توبوا كان يردّد على أسماع الآتين اليه ليعتمدوا، فكأنه كان يقول لهم: مثلما تغسل المياه أقذار أجسادكم، توبوا من كل قلوبكم الى اللّه، فتوبتكم وندامتكم تغسلان قذارة نفوسكم. قال مار افرام (في مدراشه تبارك من اعتمد..) يوحنا عمّد بالماء لا بالروح القدس وما كان يدعو قطّ الروح القدس عند منحه العماد. فمن يتجاسر أن يقول بدون خوف: إن ربّنا عندما اعتمد في الأردن اقتبل الروح القدس (٢٧٣)

تردّد يوحنا في عماد المسيح: حين دنا ربّنا يسوع من يوحنا قال له: اقترب وعمّدني. فأجابه: أنا خائف يا ربّ، لأنك من نار وأنا مجبول من تراب، لا أستطيع مسّ اللهب. قال يسوع: تشجّع أيها الترابيّ، هلمّ وضع يدك فوق رأسي وعمّدني. أجابه يوحنا: مَن اضطرّك يا ابن الملك أن تأتي كرجل محتاج لتعتمد من عبدك. كيف أجرؤ وأنا قشّ أن اضع يدي على اللهبة. إن دنوتُ يا سيد أحترق. أجاب ربّنا وقال ليوحنّا ضع يدك فوق رأسي فاعتمد (٢٦٠-٢٦١) ولمّا أقرّ يوحنا بأنه هو المحتاج ليعتمد من يسوع. أجابه: دع الآن فهكذا يحسن بنا أن نتمّ كل برّ فتتمّ كلمة النبي (٢٧١) وخضع الرسول الممجّد والمعمدان لأمر ربّه وبسط يده بخوف، وبرعدة وضع يمينه على خالقه مجدّد جنسنا وهتف متوجّهاً الى من عمّده: أنت يا رب قدّستني، إنك أنت الهي ويليق بأن تباركك الشعوب وتسبّحك الى أبد الآبدين (٢٨٣). الجموع الحاضرة ما كانت تعرف أين هو العريس الى أن جاء يوحنا وأومأ اليه بأصبعه (٢٨٥) وسألت البيعة يوحنا: من هذا الذي تعمّده، والجماهير واجفة، والسماء مفتوحة ومبتهجة، والآب يسمع صوته من العلى، والروح القدس يطير بصورة حمامة.

أجابها: هذا هو العريس وحيد اللّه الذي خطبتكِ له. هلّمي وانطرحي على الأرض واسجدي له (٢٩١) خطب يوحنا للمسيح البيعة المقدّسة من المياه وغسل أوساخها... وجاء المسيح واعتمد واتخذها بطهر عروساً له (٢٥٣).

سر الثالوث الأقدس

عظيم وممجّد ظهور المسيح مخلّصنا في الأربعة الأقطار به انكشف للخليقة سرّ الثالوث (٢٨٨).

طوبى ليوحنا المعمدان الذي لم يقم بين مواليد النساء مثله. إنه رأى على نهر الأردن الثالوث (٢٧٥) ففي عماد المسيح رأى يسوع ابن اللّه يعتمد والروح ينزل عليه والآب يصرخ هذا هو ابني هذا هو حبيبي (٢٥٠-٢٥١). انه رأى أبواب السماء قد انفتحت ونزل الروح القدس المرسل من قبل الآب وحلّ واستقرّ بصورة حمامة بنوع يستحيل تفسيره، على الكلمة الأزليّ الذي تجسّد. ورأى الجميع الروح مرفرفاً على رأس ربّهم (٢٨٢) وكبإصبع دلَّ عليه (يسوع المسيح المتأنس) (٢٥٤). فذاك الذي يسبّحه الروحانيّون في الأعالي مع الآب والروح القدس شُهد له على نهر الأردن بصوت الآب ونزول الروح القدس (٢٥٧). فالذي انكشف سرّه ليوحنا هو ثالوث متساوٍ في الجوهر، غير منقسم (٢٨٧) إله أزليّ واحد تجلّى على نهر الأردن، ثالوث واحد ظهر لبني البشر الآب القدّوس بالصوت والابن الممجّد بحاسّة اللمس والروح المسجود له بحاسّة النظر (٢٥٧-٢٥٨). ووقتما كان يعتمد يسوع عمّ الفرح كل من في السماء وأخذ الملائكة يعظّمون والساروفيم يمجّدون (٢٥٧) وهؤلاء كانوا يهتفون: قدّوس قدّوس انت يا ابن العليّ الذي تنازلت ولبست جسداً لتمنح الحياة للمائتين (٢٧٥) ويذكر الثالوث الأقدس أكثر من مرة في الصلوات يوم عيد الدنح (ص ٢٥٠ و ٢٥٣ و ٢٧٥ - ٢٧٦ و ٢٨٧ و ٢٩٠ - ٢٩١...

انذهلت الجموع السماويّة لدى رؤيتها ضابط القوّات العلويّة المخلّص إلاه الآباء قائما عرياناً (٢٤٩-٢٥٠) وارتعدت الطغمات النورانيّة وتحيّرت لأنها رأت ترابيّاً واضعاً يده فوق رأس سيّده (٢٦٠) ودُهش ملائكة السماء وأجواقهم وتعجّبوا وخافوا خوفاً كبيراً لأنهم رأوا مَن جمَع مياه البحار قائماً عرياناً في نهر الأردن ليعتمد (٢٨٥) وعندما دنا يوحنا ووضع يده على خالقه استغاث الملائكة بعضهم ببعض فزعين وتعجّبت القوّات تعجّباً كبيراً لّما رأت الهشيم يضمّ النار ولا يحترق (٢٩١) وانذهل العلويّون بالآية الجديدة التي جرت هنالك وهي أنّ يداً بشريّة لا تُصاب بأذى من اللهيب (٢٩١).

ومار افرام في مدراشه: لك المجد من قطيعك في يوم ظهورك.. يقول: إن المسيح مكث ثلاثين سنة في أرضنا فلنضفر له ثلاثين إكليلاً. في كل سنة تمجّده إحدى الخلائق لعمل من أعماله الخلاصيّة[٣٣] وفي السنة الحادية عشرة يؤدي الشكر البحر الكبير الذي كالَهُ الابن براحة يده وتعجّب حين رآه نازلاً يعتمد بمياه قليلة وبعمله هذا غسل الآثام" (٢٦٣) ومن بهاء ألوهيّته ارتعدت تلك المياه (٢٦٨).

إن السماء والأرض تفرحان بعماد الابن وتسبّحان الآب الذي أرسل ابنه لخلاصنا (٢٥٧) ولما سمع الساروفيم صوت الآب ورأوا الروح القدس حالاً على رأس المسيح هتفوا: قدوس قدوس أنت يا ابن العليّ الذي تنازلت ولبست جسداً لتمنح الحياة للمائتين (٢٧٥) ويا أيها السماويّون والأرضيون سبّحوا

[٣٣] تمجّد المسيح: الكاروبيم، الساروفيم، آل ميخائيل (رئيس الملائكة) السماء، الشمس، الهواء، السحب والرياح، الخليقة واثمارها، الأرض، جبل سيناء، البحر الكبير، الهيكل المقدس، تيجان الملوك، فصح مصر، الحمَل، الحنطة، الكرمة، الخمير، الملح، المال الزائل، الماء الصائر حلواً، السلاح والسيف، الأتان، الغنى، اسحق، موسى، الشفعاء الناطقون، الجبابرة، أيوب، الأموات الذين حيوا، وفي السنة الحادية والثلاثين جميع الحكام. (٢٦١-٢٦٥)

الابن الذي نزل من مساكنه واعتمد على يدي عبده ومجّدوه الى أبد الآبدين (٢٨٥) وتعجّب الملائكة والبشر إذ رأوا من يقدّس العوالم بعماده، اعتمد من عبده ليحرّر من هم عبيد للخطيئة (٢٨٨). ويوحنا القائم على نهر الأردن رأى أعجوبة، رأى ملائكة تعظّم وساروفيم تمجّد والروح القدس ينزل ويستقرّ على رأس الابن وسمع صوتاً من السماء يقول هذا ابني هذا حبيبي (٢٥٣-٢٥٤) ولّما صعد المسيح من المياه أدّت له السماء والأرض التكريم. فالشمس خفضت أشعّتها والكواكب سجدت لمن قدّس الأنهار والينابيع (٢٥٩) وفي هذا اليوم تمجّد السنونو بتغاريد عذبة بأن المسيح قد ظهر (٢٧٣). فيا أيتها الشعوب ويا أبناء الجنّة الذين نالوا الخلاص بالمعمودية انشدوا التسبيح لمن حرّركم من الضلال ومجّدوه الى أبد الآبدين (٢٨٥) ويا أيتها البيعة سبّحي العريس السماويّ الذي خطبك على نهر الأردن واشكري وجميع أبنائك تواضعه لأنه قد اعتمد هو الأقدس من الجميع (٢٥٠) فالمجد لك يا مطهّر كل الدنسين وغافر الخطايا، يا من جئت لتعتمد كأحد الخطأة فكل من حرّرته من الدنس باغتسالك، يترنّم بمجدك مع أبيك والروح القدس (٢٩٢).

مفاعيل العماد

جدّد المسيح بعماده العالم الذي أفسدته الخطيئة (٢٥٠). قال مار افرام في مدراشه: تبارك من اعتمد.. تبرَّرت الشعوب بعماده المقدس فلقد تواضع بإرادته الصالحة وبتواضعه اقتبل العماد في الأردن وقدّس بزوفاه العالم (٢٧٢). ولأننا تلوثنا بالرغم من كل ما صنعه الرب ليقوّم اعوجاجنا وبقينا عاصين ولأننا تلوّثنا بقذارة الكثير من الخطايا ففقدنا نور معرفتك الإلهيّة، واصبحنا أبناء المغتاب (الشيطان) جاء (المسيح) بإرادته الى نهر الأردن لأجلنا وقدّس العماد غفرانا لنا[٣٤]

---

[٣٤] يردد كثيرا في صلاة عماد المسيح أن المسيح بعماده قدّس ماء المعمودية لغفران الخطايا (٢٧٠ و ٢٨٤ و٢٨٥ و ٢٨٧)

(٢٥١-٢٥٢) فتبارك من قدّس المعمودية غفراناً لبني آدم ومنحنا جسده مأكلاً ودمه كأس خلاص (٢٥٤) وتعمّد مخلّصنا، وهو ليس بحاجة الى عماد، ليحرّرنا من اللعنة الحالّة بنا، تعمّد لخلاص جنسنا المائت، ومنحنا جسده المقدّس ودمه الزكيّ عربوناً بأنه هو باعثنا (٢٧٦)[٣٥] قد قدّس لنا بعماده المعمودية التي تطهّرنا من قذارة الخطيئة (٢٧٩) فأنقذنا من الحفرة الخنزيريّة (الوسخة) (٢٨١). انه اعتمد ليطهّرنا من جديد ويعيد لجنسنا البشريّ جماله الأوّل (٢٨٦) فغسلنا بالماء والروح من قذارة الآثام والذنوب التي لطّخنا بها أعداؤنا (٢٨١) ورضّ التنّين المختفي في الماء والذي يجذب الى طرق الخطيئة (٢٨٣ و ٢٧٩) ويقول افرام في مدراشه: لك المجد يا رب السماء، إن سيف الربّ في الماء، هو فرّق الأبناء من الآباء، وسيفه ذاك الحيّ هو يفرّق الأحياء من الأموات. فالمعمَّدون يصبحون بتولين وقدّيسين لأنهم نزلوا واعتمدوا ولبسوا الواحدَ الأحد الذي به أبغضوا الآباء والإخوة والعشائر والأولاد والمال" (٢٧٧) فقوِّنا يا رب لنحفظ وصاياك المقدّسة حتى نحافظ بأعمال صالحة وسيرة حسنة على موهبة البنوّة التي اقتبلناها بعمادك المقدّس ونكون لك حقاً هياكل مقدّسة وأبناء أحبّاء وتكون حياتنا وأعمالنا مرضيّة لك يا ربّ (٢٥١)

قد أعاد القدوس بالماء الثوب غير الفاسد لآدم الذي وقع بين ايدي اللصوص وعرّوه، فالقدّوس اعاد بعماده ثوب عدم الميتوتة للعريانين ليلبسوه (٢٦٩). بالعماد جعلنا له ابناء، إن الينبوع المجيد (العماد) يلد بنوع عجيب أبناء روحيّين

---

[٣٥] كان المعمدون يتناولون بعد عمادهم وتثبيتهم جسد الرب ودمه وهذه العادة وإن أُبطلت لدينا نحن السريان الكاثوليك، بقيت مذكورة في الترتيلة التي يترنم بها الشمامسة اثناء شدّ الاكليل على رأس الطفل المعمّد. وهاكم تعريب الترتيلة: أشيدوا يا إخوتي بالمدح لأن ربّ الكلّ الذي ضفر لكم إكليلاً طالما اشتهاه الملوك. لقد صعدتم يا أحبائي من العماد مثل الملائكة بقوّة الروح القدس. إنكم اليوم نلتم النعيم الذي لايزول ولبستم مجد آل آدم. امضوا بسلام يا ابناء المعمودية واسجدوا للصليب الذي يحرسكم. إن الثمرة التي لم يذقها آدم في الفردوس وُضعت اليوم بفرح في أفواهكم (الخدم الكهنوتية طبقا لطقس الكنيسة السريانية الكاثوليكية الانطاكية -١- رتبة المعمودية المقدسة، مطابع الكريم الحديثة ١٩٧٢ جونية (ص ٣٧ - ٣٨).

يضيئون ككواكب السماء المستمدّة نورها من شمس البر (٢٦٩) وبالعِماد يصيّرنا من أنسباء المسيح وآلهة وأخوة له: لبسَنا ولبسْناه وامتزج بنا. صار إنساناً من بنت داود وجعلنا آلهة بالمعمودية (٢٧٤) محبوبين أبكار بنت النور (الكنيسة) فصار للمسيح أخوة كثيرون، تبارك من ولدهم بالماء (٢٧٤) وبالعماد أصبحنا هياكل لسكن المسيح: فمثلما طهّرتَ رأس جنسنا من قذارة الخطيئة طهِّرنا بزوفى حنوّك واجعلنا هياكل لسكناك يا ربّنا وإلهنا (٢٧٩) ويقول مار افرام في المدراش عينه: انحدر اللّه برحمةٍ منه حتى يمزج حنانه بالماء ويُتحد طبيعته العظيمة بجسدنا البشريّ الحقير. اتخذ الماء حجةً لينزل ويسكن فينا كما اتخذ رحمتَه حجّةً لينزل ويسكن في الحشا فيا لمراحم اللّه الغزيرة التي اتّخذت كل الحجج كي يسكن فينا (٢٧٦) والمسيح بعماده فتح لأبناء آدم وسيلة بها تغفر خطاياهم ويصبحون ورثة الملكوت (٢٥٣). ويكتب افرام في المدراش عينه: من يتجاسر ويعتمد ثم يخطأ يشبه الحيّة التي تكشط جلدها ثم تعود وتلبسه. إنه يتجدّد ثم يعود فيتلطّخ ويرجع الى لبس العتيق ولا يتذكر أمر الحيّة. ألا اخلعوا الخطيئة وسخ النفس. الإنسان الذي عتق لا يُعتقنّ الإنسان الجديد الذي لبسه من الماء (٢٧٧) وفي النشيد "يفرح العلويّون بجمعكم أنكم استحلتم خرافاً من ذئاب"... المسيح يقول لإبليس: يا عدويّ يا مبغض البشر، لا تحسد أولادي الحلوين، قد غسلهم الصليب بالماء في ينبوع الماء (ماء العماد) صبَّ ناراً وسكب في الغمر قوّة الروح ليكونوا شعباً مقدّساً. (٢٧٤) إنهم يكفرون بتعاليمك وبالاعمال السيئة التي علّمتهم ويبغضونك لأنهم يعرفون أنك دجّال (٢٧٤).

ان ختم المعمودية هو حارسٌ لنا نحن المؤمنين فكما أن العبرانيّين نجوا من المهلك بالدم المرشوش على العتبات هكذا نحن أيضاً نخلص بالنعمة الإلهيّة التي بها اتحدنا بخالقنا ونرى نور الثالوث الممجّد الذي لا يطفأ أبداً (٢٨٤) فنسألك ايها المملؤ مراحم أن تشرق نور وجهك علينا فننجوَ من كل ثقل الخطيئة، فاملأنا من نعمة البنوّة بالذخيرة واكتب اسماءنا وأسماء أمواتنا في سفر الأبكار

المكتوبين في السماء قوّم خطواتنا في سلوكنا طرقك واثر فينا دهشاً من عيد ظهورك (٢٧٠)

مديح للماء (٢٦٦-٢٦٨)

من مدراش مار افرام لعيد الدنح وعماد المخلص.

اللازمة: تبارك المسيح الذي قدّس لنا المعموديّة بعماده.

هبط الروح القدس من العلى ورفرف وبرفرفته قدّس المياه. ولم يحلّ الروح إلاّ على واحد من جميع مَن عمّدهم يوحنا، واليوم حلّ على كل مولود من الماء.

غبّطت البحار النهر الذي اعتمدتَ فيه يا ربّ وانذهلت المياه التي في السماء لأنها لم تؤهَّل لأن تغطس فيها.

يتجدد بالمياه جسد آدم الترابي الذي بلي، ان الكهنة عادوا وجدّدوا كالبنّائين أجسادكم.. بقدرتك (يا اللّه) تقوّت المياه ومحقت الخطيئة.

حافظوا، ولا تكفّوا، على الموهبة التي نلتموها مجّاناً، إنها جوهرة إن فُقدت لا سبيل للحصول عليها، إنها تشبه البتولية اذا فُقدت لا تعود.

أقبلت غنم يعقوب وأحاطت بالبئر وتوشّحت وهي في الماء بأشكال عود الخشب الحافل بالرموز والتشابيه المشيرة الى الصليب... هكذا رفلت غنم المسيح بأشكال المصلوب الحيّ الكريم... يمحو الكهنة الخطايا بالماء والمسيح يمحوها غافراً إيّاها أو ماحيًا إيّاها من السجلات. هكذا تضاعفت أفراحكم.

اشتاق داود الى ماء بئر فأتوا به ولكنه لم يشربه لأنه ثمن دم إنسان وانتم قد اغتسلتم بماء ثمنه دم إله...

الخراف القديمة بادرت لتعانق وتقبّل الخراف الجديدة التي ضمّت إليها فئة الموعوظين. البيض لبسوا ثياباً بيضاء فأصبحوا بيضاً داخلاً وظاهراً بأجسادهم مثلما في ثيابهم.

يفرح الملائكة بخاطئ يتوب فقد ازداد اليوم سرورهم بمن تلدهم المعمودية في كل عيد ومحفل وتحوّلهم من أرضيين الى سماويّين...

مقابلة بين ميلاد المسيح وعماده (٢٨٦)

بالميلاد[٣٦] ولد المسيح وصار إنساناً وبالعماد شُهد له بوضوح أنه إلاه.

بالميلاد بشر رئيس الملائكة بالحبل به وبالعماد أشار يوحنا وقال هوذا حمل اللّه الحامل خطيئة العالم.

بالميلاد سبّح الملائكة والرعاة مولده وبالعماد جاء صوت الآب من العلى قائلا: هذا هو ابني الحبيب عنه رضيت.

بالميلاد قاد (المسيح) وأتى بالمجوس من بعيد ليسجدوا لجلاله وبالعماد تقدست به الينابيع والأنهار.

بالميلاد ظهر كوكب لرؤساء فارس كعلامة على الطفل وبالعماد اظهره الروح القدس نفسه إذ حلّ بشكل حمامة فوق رأسه.

أُنشودة لمار افرام (٢٧٨-٢٧٩) وكلمة الختام

اللازمة: المجد لك يا رب، يا من سجدت له السماء والأرض وما فيهما.

ذهب بي فكري الى الأردن فرأيت أمراً عجيباً تجلّى لي، رأيت عريساً جميلاً يقيم وليمةً لعروسه ويقدّسها.

رأيت يوحنا طافحاً من الفرح والجماهير ملتفّة حوله، ورأيت المسيح منحنياً أمام ابن العاقرَين (زكريا واليشباع) يطلب أن يعمّده.

فانذهل فكري من الكلمة والصوت، يوحنا كان الصوت وربّنا كان الكلمة الخفي وقد جاء ليظهر.

---

[٣٦] يقال بالفنقيت: بالعيد الأول (بالميلاد) وبهذا العيد الثاني (بالعماد)

العروس مخطوبة ولا تعرف من هو عريسها الذي تنتظره، البرّيّة ملأى بالمدعوّين وربّنا محجوب فيما بينهم.

عندئذ أظهر العريس نفسه ودنا من يوحنا على النهر اضطرب البشير وقال عنه: هذا هو العريس الذي بشّرت به.

جاء ليعتمد معمِّد الجميع واظهر نفسه ليوحنا. ولما رآه يوحنا سحب يده وتوسّل قائلا:

كيف تعتمد مني يا رب انت الذي تغفر بعمادك للجميع. تنتظرك المعمودية رُشَّ عليها القدوس (الروح القدس) فتتكمل.

أجابه ربّنا أنا راضٍ فاقترب وعمّدني لكي تتمّ إرادتي: إنك لا تستطيع أن تعصى إرادتي اني شئت أن اعتمد منك.

أرجوك يا ربّ. أنا لا أعصى إنّما صعب هو ما قلت لي، لأني أنا المحتاج الى أن تعمّدني. فإنك بزوفاك تبيّض الجميع.

طلبتُ وحسن لديّ أن يكون هكذا وأنت يا يوحنا لماذا تعارض اترك البِرّ يكمل وهلّم عمّدني فلماذا أنت اذاً هنا قائم؟

كان المسيحيون وما زالوا يأخذون من الماء الذي يعمَّد فيه صليب المسيح أو يضعون قناني ماء لتتبارك عند القيام بحفلة عماد المسيح ويأخذونها بركة لهم ولبيوتهم ومنها بتقوى يشربون. وهذا ما أشارت اليه الصلاة (ص ٢٧١-٢٧٢): يطلب المساكين والبائسون من الماء الحيّ الذي عمِّد المسيح فيه ليرووا عطشهم وينالوا به حياة جديدة فيكونوا ورثة الملكوت السماويّ بواسطة العماد والروح القدس... فهلمّوا، يا إخوتي، نأخذ ونشرب من الماء الحيّ الذي فيه عُمِّد الابن والذي عليه (الماء) حلت النعمة...

وقبل أن نختم مقالنا هذا يجدر بنا أن نذكر بعض ما جاء في سدرو القومة الأولى من صلاة ليل عيد عماد ربّنا وظهوره...

"أيها الصالح الخفيّ الذي لا يراه أحد وقد ظهر على النهر حبًّا بنا، أيها الطاهر الأطهر من الجميع الذي انشقّت السماء في عماده، الكلمة الذي يسجد له الجميع وقد شهد له الآب بصوته، والقدّوس مقدّس الجميع الذي أظهره الروح برفرفته.

الربّ الذي عَظُم به العبد الذي عمّده.

العريس السماويّ الذي حسنت بعينيه العروس التي خُطبتْ له.

ملك الملوك الذي ابتهجت به الشعوب التي آمنت به.

البهاء الأزليّ الذي يندهش العلويّون من ضيائه والضياء السنّي الذي يبتهج الأرضيّون من رؤيته.

الوحيد الذي صيّرنا بنعمته إخوة له.

الينبوع الطافح الذي ظهر كالعطشان ورطّب النفس بتعزيته.

شجرة الحياة التي غُرست على ضفّة المياه ليتوارى لكثرة تواضعه".

وبعد أن يسأل المبتهل عن شكر يؤدّى أو هدايا تقدَّم لمالئ الكون بلاهوته والعجيب بأعماله والغنيّ بكثرة مراحمه يتوسّل اليه ويطلب منه أن يملأ الجميع من ضيائه الإلهيّ وأن يضرمنا بلهب حبّه المقدّس وينير حياتنا ويعفو عن خطايانا ويغفر آثامنا ويشفق علينا ويتمّم خلاصنا... وان يؤهلنا لنصون طاهرة فينا صورة شبهه (٢٥٨-٢٥٩).

فمبارك الآب الذي أرسل وحيده ومبارك الابن الذي قدّسنا بعماده والمجد للروح القدس الذي شفق ورحمنا (٢٧٥-٢٧٦) ونختم ببضع صلوات مأخوذة عن الصلاة الفرضيّة لهذا العيد:

"أيها المسيح الذي فدى بيعته بعماده وأَدناها منه لتغور في معرفته، قدِّس أجسادنا اغفر خطايانا نقّنا من أدراننا وأهلّنا جميعاً لنسبّحك يوم ظهورك" (٢٧٥).

"لتنفتح اليوم الأفواه المغلقة ولتتكلّم جميع الألسنة بالتسابيح والتماجيد في هذا اليوم:

فاليوم تطأطأ الرفيع ونزل الى السفلّيين ليغتسل بمياه هو خلقها وصنعها،

اليوم ازدان الخدر الجميل للعريس الذي أتى ليقيم وليمة للعروس التي خطبها بالمعمودية،

اليوم هُيّئُ السجاد الفاخر الذي عليه سوف يتكئ ابن الملك مع العروس الجميلة التي آمنت به" (٢٨٦)

وملخّص كل ما قلنا نجده في طلبة مار يعقوب في آخر صلاة المساء: "دفعتني حرارة حبّك الى وصف يوم ظهورك. إن التأمّل فيه بصفاء لَمُدهش جداً. تأمّلت في ظهورك وتعجّبت من احتجابك. انت قرّرت فظهرت من بنت داود متجسّداً. اشتعل نهر الأردن عندما استقبلك يوم عمادك، حتى يعرف كل إنسان مَن اشتعل له الأردن. اتّقدت المياه باللهب الساطع لأن النار المتّقدة (يسوع) دنت للعماد كيما بها (المياه) تغتسل. انتشرت السحب كالمناديل في قصر الملك حتى يُلفّ بها ابن الملك بعد اعتماده. وجاء صوت من العلى يقول: هذا هو حبيبي ونزل الروح القدس ليشهد أن هذا هو (الابن الحبيب) المجد للآب الذي أرسل الابن الى الأرضيّين والسجود للابن الذي اعتمد في الأردن على يد يوحنا وللروح القدس الذي دلّ الجموع عليه بالإيماء كبإصبع. وعلينا المراحم في هذا العيد وفي جميع الأعياد (٢٥٤-٢٥٥).

الفهرس

عيد ميلاد الرب يسوع ٣
الصلاة الفرضية لعيد ميلاد ربنا بالجسد ٥
بعض الرموز والتشابيه عن المخلّص ٧
الأنبياء عن الميلاد الواردة أسماؤهم في صلاة عيد الميلاد ٨
الاكتتاب - بيت لحم - المغارة والمذود ١٢
الملائكة والرعاة ١٦
الطفل في المذود ١٨
مريم أم اللّه ويوسف البتول ٢٦
المجوس ٢٨
الغاية من تأنس اللّه الكلمة ٣٠
خاتمة ٣٢
ملحق ١ .... ٣٥
ملحق ٢ - مار يوسف زوج والدة الإله مريم ٣٨
مقام مار يوسف ٣٩
اختيار يوسف حارساً للعائلة المقدسة ٣٩
الاكتتاب في بيت لحم ٤٠
فضائل مار يوسف ٤١
يوسف بن يعقوب وراحيل هو رمز ليوسف خطيب مريم ٤٢
دعاء ٤٣
عيد الأنوار أي ظهور ربّنا ٤٥

الصلاة الفرضية لعيد الدنح.. ٤٦
المعمِّد والمعمَّد.. ٤٧
بعماد المسيح تمّت نبؤات الانبياء.. ٥١
تقديس الماء وتردد يوحنا في تعميد المسيح.. ٥١
سر الثالوث الأقدس.. ٥٣
انذهال البرايا وتسبيحها.. ٥٤
مفاعيل العماد.. ٥٥
مديح للماء.. ٥٨
مقابلة بين ميلاد المسيح وعماده.. ٥٩
أُنشودة لمار افرام وكلمة الختام.. ٥٩

اغناطيوس انطون الثاني حايك
بطريرك السريان الانطاكي السابق

ميلاد المخلص في بيت لحم وعماده في نهر الأردن في الفنقيتين الأول والثاني